بُطلَانُ مَا فِي رِسَالَةِ قَاضِي عُمَان

إعداد

مُحَمَّد بن راشد بن ناصر الحبشان

١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله أما بعد:

فإن الله قد كتب على هذه الأمة كغيرها من الأمم التفرق كونا وقدرا فلا مناص من حصول ذلك كما قدر وقد حصل كما أخبر الرسول ﷺ في الحديث الصحيح :

(افترَقتِ اليهودُ على إحدى وسبعينَ فِرقةً وافترَقتِ النَّصارى على اثنتينِ وسبعينَ فِرقةً وتفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً)[1].

وأمرنا شرعًا حتى نسلم من هذا التفرق وآثاره أن نسير على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عنهم في العلم والعمل.

ونرى اليوم هذه الفرق على طول وعرض خارطة العالم الإسلامي وقد حصل أن التقيت بأحد مشايخ الإباضية في عمان وهو الشيخ مسعود الراشدي القاضي بمحكمة الاستئناف بمسقط كما أفادني بذلك في مدينة هيماء بسلطنة عمان – عمرها الله بالتوحيد والسنة — وكان ذلك في صيف عام ١٤٣٩هـ فحصل بيني وبينه حوار في بعض المسائل الفقهية وظهر منه التشديد في ذلك فقلت :هذه المسائل دائرة بين راجح ومرجوح ولكن حدثني عما هو أهم ؛

[1] رواه الترمذي ٢٦٤٠ وأبو داود ٤٥٩٦ وأحمد في المسند ٣٣٢/٢ وصححه الترمذي وابن حبان ١٤٠/١٤ والشاطبي في الاعتصام ١٨٩/٢ والألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٣.

مسائل العقيدة التي يترتب عليها الهدى والضلال ودخول الجنة أو النار فأظهر عدم رغبته في ذلك مبديًا تبنيه التسامح والأخوة والمحبة[٢] فطرحت عليه سؤالًا وقلت:**أين ربك الذي تعبده؟**

فقال: لا أدري ! الله أعلم .

فوضعت يدي على رأسي وقلت : ما أكبرها من مثلك يا شيخ!!

ثم أخذت أسرد عليه بعض الأدلة في ذلك ومن ضمنها :

حديث الجارية.

فقال: هي جاهلة!!

فقلت: العبرة في إقرار النبي ﷺ لها.

فانظر كيف أن جارية ترعى الغنم لا تقرأ ولا تكتب تعرف هذه العقيدة ويجهلها من يسمون علماء في بلادهم نتيجة تشربهم لعقائد منحرفة جانبت الصواب فتركت المنقول والمعقول.

ثم حصل بيني وبينه تواصل عن طريق الجوال ورسائل الواتساب فأرسلت له بعض ما يتعلق بهذا الأمر ناصحًا ومذكرًا فلم يكن منه رد خلال فترة طويلة ثم إنه أرسل لي قبل رمضان لعام ١٤٤١ هـ رسالة مؤلفة من ست صفحات في بيان ما هو عليه من اعتقاد ومنهج في العقيدة فرأيت فيها عجبًا في تبنيه لخليط من عقائد الفرق الضالة واستدلالات تدل على عدم معرفة المنهج الصحيح للاستدلال الذي كان عليه سلف هذه الأمة فاستعنت بالله في الرد على ما ورد في رسالته برسالة أرسلتها إليه ثم رأيت أن أخرجها في هذا المؤلَّف تحت عنوان :

بطلان ما في رسالة قاضي عُمَان

---

[٢] وقد تبين فيما بعد أنها مجرد شعارات وأنه حقيقةً على خلاف ذلك بدليل أنه أرسل لي أثناء كتابة هذا الرد عدة مقاطع فيها تقرير لعقيدة الإباضية في نفي رؤية الله في الآخرة وفي إنكار الشفاعة وتخليد عصاة الموحدين في النار ! بل ومقاطع مفبركة في الطعن في الدولة السعودية ! .

ليستفيد منه عامة المسلمين وخاصتهم وقد اعتمدت فيه على الاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن تبعهم بإحسان من علماء الإسلام وقدمت له بعدة مقدمات تبين المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم والذي يحصل به اجتماع المسلمين حقاً وصدقاً على وفق مراد الله ورسوله ﷺ وبعيداً عن الشعارات الفارغة والبراقة التي تقوم على التجميع والتكتيل بدون نصح وتصحيح للأخطاء والمخالفات فيحصل اجتماع صوري مع اختلاف القلوب كاجتماع اليهود الذين قال الله فيهم: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ).

ومن منطلقات ذلك القاعدة الإبليسية:

"نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"

والتي تقوم على عدم إنكار المنكر والرد على المخالف حتى في أصول الدين والعقائد كما طبقوها عملياً وهذا مصادم لجميع النصوص التي فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرد على المخالفين ويستحق صاحبها اللعنة كما قال تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)

فأسأل الله أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحَمَّد بن راشد بن ناصر الحبشان.

عاصمة دولة التوحيد والسنة.

٢٠/١٠/١٤٤١هـ

(مقدمات)

المقدمة الأول: المرجع عند الاختلاف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ :

إذا اختلفنا في مسألة ما فإننا نحن المسلمين لنا مرجع نرجع إليه يحل اختلافاتنا ألا وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وهذا هو الواجب على جميع المسلمين فإن من أركان الإسلام التي لا يصح إسلام أحد إلا بها (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله) ولازم الشهادتين طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ واتباع أمرهما وليست الشهادة قولًا فقط كحال المنافقين الذين قال الله تعالى عنهم (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) لكن حالهم وواقعهم خلاف ما ادعوه من الإيمان بالله ورسوله فتجدهم ما بين همز ولمز وتفريط في الصلوات وتضييع للجهاد وذكر لله قليل (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) فأين امتثالهم لأمر الله ورسوله؟!

فعليه وجب علينا تجنب هذا المسلك الوعر والمزلق الخطر فإنه سبيل غواية وضلال يلقيك في نهايته في غياهب النفاق والمنافقين الذين قال الله عنهم : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) .

وأدلة وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أكثر من أن نحصرها هنا لكن أذكر لك جملًا منها :

١- قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) لاحظ أن الله سبحانه وتعالى جعل الرجوع إليه وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم علامة الإيمان.

والرد إلى الله يراد به الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ يكون بالرد إلى سنته وعلى هذا إجماع المسلمين .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:(الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته)[٣]

٢-قال تعالى :(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

٣-قال تعالى:(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) انظر جعل علامة الإيمان الصادق تحكيم النبي ﷺ فيما اختلفنا فيه.

٤-قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا* يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا) أرأيت كيف يندم من جانب هدي النبي ﷺ وتعصب للأشخاص الذين أغروه وسلكوا به طرق الغواية والضلال.

٥-عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: خطَّ لنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خطًّا ثم قال : هذا سبيلُ اللهِ ثم خطَّ خطوطًا عن يمينِهِ وعن شمالِهِ ثم قال : هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليهِ ثم قرأ (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ).[٤] فالحق واحد إما أنك يا من جانبت هدي الرسول

[٣] إعلام الموقعين ٣٩/١.
[٤] رواه أحمد في المسند ٨٩/٦ والنسائي في السنن الكبرى ١١١٧٤ وغيرهما وإسناده صحيح.

ﷺ على الحق والرسول ﷺ على الباطل وهذا هو الكفر بعينه وإما أن تقر بأنك على الباطل لأنك جانبت هديه ﷺ وهذا هو الواقع فالقسمة ثنائية.

٦-وهذا هو حال الصحابة رضوان الله عليهم فمتى ما اختلفوا في شيء أوأشكل عليهم شيء رجعوا إلى النبي ﷺ فيفتيهم فيه وأمثلته كثيرة منها أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي ﷺ قال : (من حوسب عذب) فقالت عائشة : أوليس الله يقول:(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) قالت: فقال: (إنما ذلك العرض ولكن من نوقش يهلك)[٥].

المقدمة الثانية : اعتماد فهم السلف الصالح للنصوص واجب وهو ضمانة لسلامة فهم النصوص وفق مراد الله ورسوله ﷺ :

طبعًا السلف الصالح هم الصحابة والتابعون وتابعوهم وهم الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[٦].

بعض من الأدلة الدالة على هذه المقدمة:

١-قال تعالى :(وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى رتب الوعيد على مشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين فلو لم تكن مخالفة سبيل المؤمنين سببًا من أسباب الوعيد لكان ذكره لغوًا تعالى الله عن ذلك.

وأول المؤمنين دخولًا في الآية هم الصحابة رضوان الله عليهم فمن خالفهم في أي عصر فقد خالف سبيل المؤمنين.

---

[٥] رواه البخاري ١٠٣.
[٦] رواه البخاري ٢٦٥٢ ومسلم ٢٥٣٣

٢-قال تعالى :(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

وجه الدلالة: أن الله سبحانه جعل الهداية معلقة بالإيمان بمثل ما آمن به الصحابة فدل ذلك على وجوب اعتماد فهمهم إذ لا يمكننا الإيمان على مثل ما آمنوا به إلا عن طريق معرفة فهمهم واتباعه رضوان الله عليهم أجمعين.

٣-قال تعالى:(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وجه الدلالة: أن الله سبحانه علق رضاه عمن جاء بعد عصر الصحابة باتباع الصحابة فبمفهوم المخالفة أن من لم يتبع الصحابة رضوان الله عليهم في الدين فليس مرضيًا عنه عند الله تبارك وتعالى واتباع الصحابة لا يكون فقط في العبادات البدنية كالصلاة والصيام والحج ونحو ذلك بل يكون في بادئ الأمر باتباعهم في أهم شيئ وهو الاعتقاد لما سبق في الآية رقم ٢ .

٤-حديث (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وقد تقدم ذكره.

وجه الدلالة: هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله إذ يقول:

(فأخبر النبي ﷺ أن خير القرون قرنه مطلقًا وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير وإلا لو كانوا خيرًا من بعض الوجوه فلا يكونون خير القرون مطلقًا فلو جاز أن يخطئ الرجل في حكم وسائرهم لم يفتوا بالصواب وإنما ظفر بالصواب من بعدهم وأخطأوا هم لزم أن يكون ذلك القرن خيرًا منهم من ذلك الوجه لأن القرن المشتمل على الصواب خير من القرن المشتمل على الخطأ في ذلك الفن ثم هذا يتعدد في مسائل عديدة)[٧] .

[٧] إعلام الموقعين ٤ / ١٠٤.

٥-عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ)[٨].

وجه الدلالة: قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(وجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه وكنسبة النجوم إلى السماء ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم.

وأيضًا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم وحرزًا من الشر وأسبابه فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنة للصحابة وحرزًا لهم وهذا من المحال)[٩].

٦-قال ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم الخوارج: (أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ : المهاجرين والأنصار ومن عند ابن عم النبي ﷺ وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم)[١٠]

وذكر النصوص الدالة على وجوب اعتماد فهم السلف واتباعهم أكثر من أن تحصر في مثل هذه الرسالة.

المقدمة الثالثة : عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات إجمالًا:

عقيدتنا نحن أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته :

^إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل^

---

[٨] رواه مسلم ٢٥٣١.
[٩] المصدر السابق.
[١٠] رواه النسائي في السنن الكبرى ٨٥٢٢ والحاكم في المستدرك ٧٣٦٨ وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٨/ ٥٣٠ وحسنه الوادعي في الصحيح المسند ٧١١.

سنتكلم عن هذا التعريف من ثلاث جهات:

الجهة الأولى : بيان معناه:

معناه التزام الكتاب والسنة فما أثبت فيهما أثبتناه وما نفي فيهما نفيناه لا نتجاوزهما قيد أنملة.

وأما قولنا (من غير تحريف ولا تعطيل) فهذا ردٌ على المعطلة والمؤولة الذين نفوا عن الله سبحانه صفاته أو أولوها وصرفوها عن ظاهرها .

فإن التحريف في اللغة يراد به : التغيير والتبديل والإمالة والعدول[١١].

والمراد به في موضوعنا : تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها[١٢].

وأما التعطيل فهو لغة : التفريغ والإخلاء[١٣].

والمراد به في موضوعنا : نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها وإنكار قيامها بذات الله[١٤].

وأما قولنا: (من غير تكييف ولا تمثيل) فهذا ردٌ على المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه أو الخلق بالله في الأسماء والصفات.

فإن التكييف المراد به: جعل الكيفية للشيء وهي الجواب عن سؤال (كيف؟) وهي حالة الشيء وهيئته وصفته[١٥].

والمراد به في موضوعنا: بيان كيفية صفات الله تعالى وحالتها.

وأما التمثيل فهو لغة: التشبيه[١٦].

---

[١١] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٥٥ ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ٢٢٨ والقاموس المحيط للفيروزأبآدي ١٠٣٣.
[١٢] معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص ٦٠.
[١٣] العين للخليل بن أحمد ٩/٢ لسان العرب لابن منظور ٤٥٤/١١.
[١٤] شرح العقيدة الواسطية محمد خليل هراس ص ٢١.
[١٥] المعجم الوسيط ٨٠٧/٢ والقواعد المثلى لابن عثيمين ص ٣٤.

والمراد به في موضوعنا: هو تشبيه صفات الله بخلقه أو العكس.

الجهة الثانية: أدلة معتقد أهل السنة والجماعة إجمالًا:

فأما أدلة وجوب (إثبات ما أثبته الله لنفسه أو نفي ما نفاه الله عن نفسه) كثيرة.

منها ما تقدم في المقدمة الأولى ومنها أن الله أعلم بنفسه سبحانه وتعالى وهذا من تصديق كتاب الله تعالى فمن لم يثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه ولم ينف ما نفاه الله عنه في كتابه فهو مكذب لكتاب الله إذ هو على نقيضه والله تعالى يقول:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) فجعل الله تكذيب ما قاله في كتابه كفرًا.

وكذلك يقال هذا فيما أثبته له نبيه ﷺ أو نفاه عنه لأنه أعلم الخلق بربه ولأنه لا يقول إلا حقّا قال تعالى:(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ).

والإيمان بالكتاب يلزم منه تصديق ما فيه فمن لم يقبل ويصدق ما فيه فهو غير مؤمن بها أصلًا فإن أصل الإيمان في اللغة التصديق.

وأما المحاذير الأربعة (التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل)

فكلها داخلة في الإلحاد في أسماء الله وصفاته :

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (وقدر حذرنا الله من الانحراف عن النهج الذي قرره الله في كتابه في أسمائه وصفاته فقال تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت القبر)[١٧]

---

[١٦] المعجم الوسيط ٨٥٣/٢.
[١٧] معارج القبول ٨٨/١.

ومن الأدلة المبطلة لهذه المحاذير الأربعة قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

فهذه الآية تعتبر قاعدة لنا أهل السنة فمعناها: (إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل)

ففي الآية الرد على المشبهة والمعطلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) رد على الممثلة (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) رد على المعطلة)[١٨].

فهذه الآية فيها إثبات لمعتقد أهل السنة وإبطال لمعتقدات مخالفيهم في الباب.

فالآيتين المتقدمتين فيهما إبطال لكل هذه المحاذير الأربعة وإليك إبطال كل واحد منها على حدة:

- إبطال منهج التحريف وهو صرف النصوص عن ظاهرها بغير دليل صحيح (التأويل الفاسد) بقوله تعالى في ذم اليهود: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ).
- إبطال منهج التعطيل وهو باطل بكل نص في القرآن والسنة مثبت لصفات الله وأسمائه ثم هو أيضًا تكذيب للنصوص فيدخل في قوله تعالى:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) وقال تعالى عن قريش رادًا عليهم: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) فعليه يكفر من عطل شيئًا من صفات الله تعالى[١٩].
- إبطال منهج التكييف :

كل موجود خارج الذهن له كيفية ومن ذلك صفات الله لها كيفية لكننا لانعلم كيفيتها وذلك لأنه لا يمكن معرفة كيفية الشيء إلا بواحدة من أمورثلاثة :

---

[١٨] منهاج السنة ١١١/٢.

[١٩] وقد أفتى بكفره شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٤٨٢/١١ وأفتى به السلف كما سيأتي عن بعضهم.

الأمر الأول: برؤيته مباشرة مثاله قصة إبراهيم عليه السلام:

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فإبراهيم عليه السلام عرف هنا كيفية إحياء الله للموتى عن طريق الرؤية المباشرة.

وكذلك لو أردت أن تعرف فلانًا من الناس فإنك تعرفه وتعرف شكله وهيئته بالنظر إليه.

وهذا منتف في حق الله تبارك وتعالى فنحن لم نرَ ربنا حتى نعرف كيفية صفاته تبارك وتعالى.

فإن النبي ﷺ قال: (تعلَّموا أنَّه لن يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموتَ)[٢٠].

الأمر الثاني: رؤية المثيل والشبيه . فإنك إذا رأيت مثيله علمت أن كيفية صفات هذا ككيفية صفات مثيله.

ومثاله: حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

(عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِياءُ، فإذا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجالِ، كَأنَّهُ مِن رِجالِ شَنُوءَةَ، ورَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السَّلامُ، فإذا أقْرَبُ مَن رَأَيْتُ به شَبَهًا عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ، ورَأَيْتُ إبْراهِيمَ صَلَواتُ اللهِ عليه، فإذا أقْرَبُ مَن رَأَيْتُ به شَبَهًا صاحِبُكُمْ، -يَعْنِي نَفْسَهُ-، ورَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ، فإذا أقْرَبُ مَن رَأَيْتُ به شَبَهًا دَحْيَةُ. وفي رِوايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: دَحْيَةُ بنُ خَلِيفَةَ).[٢١]

فجعل النبي ﷺ رؤية الشبيه طريقًا من طرق معرفة هيئة المتكلم عنه.

ومثال آخر: لو قلت لك سيارة زيد مثل سيارة عمرو . فإنك ستعلم هيئة سيارة زيد وكيفيتها من دون رؤيتها لكن عن طريق معرفة المثيل والشبيه.

---

[٢٠] رواه مسلم ١٦٩.
[٢١] رواه مسلم ١٦٧.

وهذه منتفية في حق الله تبارك وتعالى فلا كفء له ولا مثيل ولانظير له جل وعلا.

لأن الله تعالى يقول: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ويقول: (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

الأمر الثالث: معرفة الكيفية بخبر الصادق .

مثاله: حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بيْنَ ظَهْرانَيِ النَّاسِ، فقالَ: (إنَّ اللَّهَ تَعالَى ليسَ بأَعْوَرَ، ألا وإنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِئَةٌ)[٢٢]. والأحاديث الأخرى التي تصف الدجال.

فعلمنا هيئة الدجال وكيفية صفاته من دون أن نراه أو نرى مثيله لكن عرفنا ذلك عن طريق خبر الصادق وهو وصف النبي ﷺ له.

مثال آخر: لو قلت لك رأيت سيارة زيد فإذا هي بيضاء كبيرة لها أربعة أبواب من شركة كذا وكذا.

فإنك ستعرف هيئتها دون رؤيتها ولا رؤية مثيلها.

وهذا أيضًا منتف في حق الله عز وجل فلم يردنا دليل صحيح فيه بيان كيفية صفات الله عز وجل .

فبهذه الأمور الثلاثة المنتفية عن الله سبحانه وتعالى نعلم أنه لا يمكننا معرفة كيفية صفاته عز وجل.

ومن الأدلة الشرعية على ذلك:

أن الله تعالى نهى عن القول عليه بغير علم بل قرنه بالشرك به سبحانه وتعالى.

[٢٢] رواه مسلم ١٦٩.

ومن لم تتوفر فيه الأمور الثلاثة السابقة أو أحدها ثم قال في كيفية صفات الله تعالى شيئًا فإنه قد قال على الله ما لا علم له به.

قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا).

وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

وقد قال تعالى مبينًا بطلان هذا المسلك : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا).

-وأما منهج التمثيل فقد أبطله الله تعالى في عدة آيات من كتابه وقد تقدم ذكرها فعليه من مثل الله بخلقه فقد وقع في عدة كفريات منها تكذيبه النصوص التي تنفي ذلك واستنقاص الله بتسويته بعبيده ومخلوقاته المهينة فعليه يكون هذا المنهج كفرًا[٢٣].

فبهذه النصوص والأدلة المتقدمة يتبين لك أن معتقد أهل السنة والجماعة هو المعتقد الذي قد دلت عليه النصوص وأن كل معتقد سواه فباطل لأن الحق عند الله واحد.

وأيضًا هذا الاعتقاد المتقدم ذكره هو الاعتقاد المجمع عليه بين أهل السنة قاطبة : قال الإمام ابن عبدالبر المالكي رحمه الله:

(أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة)[٢٤].

ومما يدل على إجماعهم ما سيأتي ذكره من أقوالهم في الباب.

[٢٣] وقد أفتى بكفر من مثل الله بخلقه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٤٨٢/١١.
[٢٤] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٤٥/٧.

الجهة الثالثة: ذكر بعض من قرر معتقد أهل السنة من علماء الأمة الإسلامية وهذا أعظم من أن يحصر في رسالة كهذه لكن نقتبس قبسات فقط:

- قال الزهري رحمه الله: (من الله تعالى الرسالة وعلى الرسول ﷺ البلاغ وعلينا التسليم أمرّوا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت)[٢٥].
- عن الأوزاعي رحمه الله قال: (كان الزهري ومكحول يقولان: أمرّوا الأحاديث كما جاءت)[٢٦].
- عن سفيان بن عيينة رحمه الله أنه قال: (كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل)[٢٧].
- عن عباد بن العوام قال : قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث: (إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان) قلنا: إن قومًا ينكرون هذه الأحاديث . قال : فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها. فقال: (إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن وبأن الصلوات خمس وبحج البيت وبصوم رمضان فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث)[٢٨] .
- عن نعيم بن حماد رحمه الله تعالى أنه قال: (من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه ورسوله فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه)[٢٩]. لاحظ أنه كفر المعطلة والمشبهة وهذا يؤيد ما تقدم من تكفير شيخ الإسلام ابن تيمية لهم [٣٠].

---

[٢٥] علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ...).
[٢٦] رواه البيهقي في الأسماء والصفات برقم ٩٥٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢٦/٦٠ واللالكائي في أصول أهل السنة برقم ٧٣٥.
[٢٧] رواه اللالكائي ٧٣٦ وابن بطة في الإبانة ١٢٣.
[٢٨] السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ٥٠٨ والآجري في الشريعة ٦٩٥.
[٢٩] رواه اللالكائي ٩٣٦ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٣/٦٢.
[٣٠] والمشبه ليس من أثبت الصفة كما في النصوص ولكن من قال : إن صفة الخالق كصفة المخلوق أوالعكس بدليل أن نعيما وغيره من علماء السلف ممن نصوا على كفر المشبه يثبتون الصفات ولو كان مجرد الثبات كفرا لكان هذا حكما منهم على كفر أنفسهم .

- عن يحيى بن يحيى قال: (كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبدالله (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا فأمر به أن يُخرج)[٣١].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشده استيعابًا لأن فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعقول وقد ائتم أهل العلم بقوله واستجادوه واستحسنوه)[٣٢]

وقال أيضًا حاكيًا اتفاق العلماء على قول مالك هذا: (وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنة من ينكره)[٣٣].

وقال أيضًا: (وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَئِمَّةِ قَوْلُهُمْ يُوَافِقُ قَوْلَ مَالِكٍ: فِي أَنَّا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ اسْتِوَائِهِ كَمَا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ وَلَكِنْ نَعْلَمُ الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْخِطَابُ فَنَعْلَمُ مَعْنَى الِاسْتِوَاءِ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ مَعْنَى النُّزُولِ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ وَنَعْلَمُ مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ وَنَعْلَمُ مَعْنَى الرَّحْمَةِ وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا وَالْفَرَحِ وَالضَّحِكِ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ)[٣٤].

وقال الذهبي رحمه الله: (هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه وأنه كما يليق به ولا نتعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا بل نسكت

---

[٣١] رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٠٥-٣٠٦ والاعتقاد بنفس السند ص ٥٦ وسنده صحيح قال الذهبي في العلو :(هذا ثابت عن مالك) مختصر العلو ص١٤١ وقال الحافظ ابن عبدالهادي : (صحيح ثابت عن مالك) كتابه الاستواء ص٤ وله عدة روايات بلغت ١٠ روايات جمعها الشيخ عبدالرزاق البدر في كتابه"الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية"

[٣٢] مجموع الفتاوى ٥/٥٢٠.

[٣٣] مجموع الفتاوى ١٣/٣٠٩.

[٣٤] مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥.

ونقف كما وقف السلف ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه)[٣٥].

- قال الإمام أحمد في أحاديث الصفات: (نؤمن بهَا ونصدق بهَا وَلَا كَيفَ وَلَا معنى وَلَا نرد مِنْهَا شَيْئا ونعلم أَن مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول حق إِذا كَانَت بأسانيد صِحَاح وَلَا نرد على رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَوْله وَلَا يُوصف الله تَعَالَى بِأَكْثَرَ مِمَّا وصف بِهِ نَفسه أَو وَصفه بِهِ رَسُوله بِلَا حد وَلَا غَايَة (لَيْسَ كمثله شَيْء وَهُوَ السَّمِيع الْبَصِير) وَلَا يبلغ الواصفون صفته وَصِفَاته مِنْهُ وَلَا نتعدى الْقُرْآن والْحَدِيث فَنَقُول كَمَا قَالَ وَنصفه كَمَا وصف نَفسه وَلَا نتعدى ذَلِك نؤمن بِالْقُرْآنِ كُله محكمه ومتشابهه وَلَا نزيل عَنهُ صفة من صِفَاته لشناعة شنعت)[٣٦].
- وسئل رحمه الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش؟ فصححها وقال: (قد تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت)[٣٧]
- وعن أبي عبيد القاسم بن سلّام رحمه الله : وذكر الباب الذي فيه الرؤية والكرسي موضع القدمين وضحك ربنا وأين كان ربنا فقال: (هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهي عندنا حق لا نشك فيها ولكن إذا قيل: كيف يضحك؟ وكيف يضع قدمه؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدًا يفسره)[٣٨].

تنبيه: أصول أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وقواعدهم كثيرة وكلها راجعة إلى التعريف السابق بمعتقد أهل السنة والجماعة فمن أرادها مفصلة يجدها في مظانها.

---

[٣٥] مختصر العلو ١٤١-١٤٢.
[٣٦] ذم التأويل لابن قدامة الحنبلي ص٢٣٣-٢٣٤.
[٣٧] السنة للخلال ٢٨٣ والشريعة للآجري ٣٠٠/١.
[٣٨] الصفات للدارقطني برقم ٥٧ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠٥/١٠.

المقدمة الرابعة : تعظيم الله بما شرع الله:

وهذا أمر مهم فإن تعظيم الله لا يكون إلا بشرع الله فمن أراد تعظيم الله فليعظمه بما عظم الله به نفسه ورسوله ﷺ فليس من تعظيم إلا وهو ناتج عن معرفة بالمعظم والله أعلم بنفسه ورسوله ﷺ أعلم الخلق به فلا تعظيم لله خيرًا من ذلك .

وهذا أمر يدندن حوله الكثير فليس كل من أراد تعظيم الله تعالى عظم الله بما يراه تعظيمًا له واعلم أنه ما:

-خرجت الخوارج وكفروا المسلمين إلا من باب تعظيم الله لكن تعظيمهم الله ليس على شرع الله فضلوا وشاقوا الله في أمره فمع إرادتهم تعظيم الله فشرع الله أمربقتلهم وجعل فيه أجرًا عظيمًا لماذ؟ لأنه تعظيم لله بما لا يرضاه الله وعلى خلاف مراده .

-وما أولت المؤولة ولا عطلت المعطلة إلا إرادة لتعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به لكن تعظيمهم لله ليس على شرع الله فلذا كفر العلماء من قامت عليه الحجة منهم وإن كانوا يدعون تعظيم الله وتنزيهه.

- ولا قالت القدرية قولها إلا تعظيمًا لله من أن تنسب له سوء عمل عباده ومع إرادتهم تعظيم الله بما لم يشرعه وقعوا في طامة أكبر فزعموا أن هناك خالقًا غير الله تعالى الله عما يشركون.

وهكذا دواليك في أهل البدع فإنهم يدعون أنهم ما قالوا قولتهم إلا من باب تعظيم الله ﷻ لكن هيهات هيهات أن يرضوا الله بفعلهم هذا.

وهذا في الحقيقة إنما نتج عند -بعضهم- عن تغليب جانب حسن النية والقصد دون جانب الاتباع للنبي ﷺ والنية الحسنة لا تكفي بل لابد معها من حسن اتباع أيضًا :

- فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه

وسلَّمَ إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا، أما واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي)[٣٩].

فانظر أن حسن قصدهم وإرادتهم التقرب إلى الله وإرادة رضاه لما كانت على غير هدي النبي ﷺ أوشكت أن تهوي بهم في مهاوي البدعة لذلك قال:(فمن رغب عن سنتي فليس مني) وما أعظمها من كلمة تبرأ النبي ﷺ من كل من رغب عن سنته ولو كان بحسن قصد ونية.

- وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ))

فانظر يا رعاك الله كيف أن خالدًا ﷺ قتلهم تعظيمًا لشرع الله عن أن يكون صباءةً وضلالا فما دفعه إلا تعظيم الله وشرعه لكن هذا مع التعظيم تبرأ النبي ﷺ من فعلته لماذا؟ لأنه كان على غير هدي النبي صلى الله عليهم فالصحابة علموا مقصد بني جذيمة وإرادتهم للإسلام فكفوا وجعلوا أمرهم إلى النبي ﷺ يفعل بهم ما يراه.

- وعن حُذَيْفَةُ ﷺ أنه قال لِأَبِي مُوسَى: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ بِسَيْفِهِ يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ، فَضُرِبَ فَقُتِلَ كَانَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟» فَقَال لَهُ أَبُو مُوسَى: نَعَمْ، فَقَالَ

[٣٩] رواه البخاري ٥٠٦٣.

حُذَيْفَةُ:(لَا، وَلَكِنْ إِذَا خَرَجَ بِسَيْفِهِ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ثُمَّ أَصَابَ أَمْرَ اللَّهِ فَقُتِلَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ)[40]

فانظر حفظك ربي كيف جعل سبيل دخول الجنة الأمرين كلاهما:

إرادة وجه الله وإصابة أمر الله بينما إرادة وجه الله وحدها لا تكفي

كما قال ابن مسعود ﷺ:(كم من مريد للخير لن يصيبه)[41].

المقدمة الخامسة : (استدل ثم اعتقد):

كثير من أهل البدع ممن نشأ وترعرع في بلاد البدعة وتقلب في أحضانها لم يستند في اعتقاده ابتداءً على النصوص الشرعية بل نشأ على هذه العقيدة وتشربها قلبه ثم صار بعدُ ينقب ويبحث في الأدلة الشرعية عما يوافق معتقده هذا الذي رضعه من أمات البدعة في وطنه وفي الحقيقة هذه الطريقة طريقة خاطئة من مبدأها إلى منتهاها فإن العقائد إنما تؤخذ ابتداءً من النصوص الشرعية ثم يعتقد المرء ما دلت عليه النصوص الشرعية وقد تظافرت الأدلة على ذلك وهو أوضح من أن أبينه لكن من باب إثبات الحجة وقطع اللجاج والخصومة:

- قال تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى جعل المرجع اتباع الوحي المنزل (الكتاب والسنة) وترك اتباع أي مصدر آخر ولازم ذلك أن يتبع باعتقاده ما أنزل الله تبارك وتعالى لا ما قاله مشايخه وأحباؤه وما قاله والداه وشيوخه بل العبرة في الوحي المنزل.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ

[40] رواه سعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح ٢٥٤٦

[41] رواه الدارمي ٢١٠.

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ» [٤٢].

وجه الدلالة: أن عائشة ﵂ ما اعتقدت ذلك من حين ما سمعت به بل بحثت لدليل عليه فإن ثبت له دليل —كما هو الحال في الحديث– آمنت به وكان معتقدها موافقة للدليل وإن لم يثبت دليل عليه أو ثبت دليل على خلافه لم تعتقده ولذلك رجعت إلى النبي ﷺ لأنه مبين شرع الله.

قال ابن الجوزي رحمه الله:

(جاء أقوام فأظهروا التزهد، وابتكروا طريقة زينها لهم الهوى ثم تطلبوا لها الدليل وإنما ينبغي للإنسان أن يتبع الدليل لا أن يتبع طريقا ويتطلب دليلها)[٤٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيًا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم)[٤٤].

قال الإمام الشّاطبيّ رحمه الله :

(ولِذا؛ سُمِّيَ أهلُ البدعِ أهل الأهواءِ؛ لأنهم اتَّبَعوا أهواءَهم، فلمْ يأخُذُوا بالأدلَّةِ الشرعيَّةِ مأخذَ الافتقارِ إليها والتعويلِ عليها، حتى يَصْدُرُوا عنها، بل قدَّموا أهواءَهُم، واعتمدُوا على آرائِهم، ثُمَّ جَعَلُوا الأدلَّةَ الشرعيَّةَ منظوراً فيها مِن وراءِ ذلكَ)[٤٥].

وقال أيضًا:

(فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريق السنّة، توهّم أنّ ما ظهر له بعقله هو الطّريق القويم دون غيره، فمضى عليه فحاد بسببه عن الطريق المستقيم، فهو ضالّ من حيث ظنّ أنّه راكب للجادة.

---

[٤٢] رواه البخاري ١٣٧٢ ومسلم بنحوه ٩٠٣.
[٤٣] صيد الخاطر ص ٢٧.
[٤٤] مجموع الفتاوى ٣٥/١٣.
[٤٥] الاعتصام ٦٨٣/٢.

فالمبتدع من هذه الأُمة إنما ضلَّ في أدلتها حيث أخذها مأْخذ الهوى والشهوة، لا مأْخذ الانقياد تحت أحكام الله.

وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره، لأنّ المبتدع جعل الهوى أول مطالبه، وأخذ الأدلة بالتبع، فإذا انضم إلى ذلك الجهل بأُصول الشريعة وعدم الاضطلاع بمقاصدها، كان الأمر أشدّ وأقرب إلى التحريف والخروج عن مقاصد الشرع.

والدّليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعاً ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعيّ، فينزّله على ما وافق عقله وشهوته، بخلاف غير المبتدع؛ فإنّه إنّما جعل الهداية إلى الحق أوّل مطالبه؛ وأخَّر هواه فجعله بالتبع)[٤٦].

قال الشيخ العلامة مُحَمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله :

(ولهذا قال العلماء كلمة طيبة ، قالوا : يجب على الإنسان أن يستدل ثم يبني ، لا أن يبني ، ثم يستدل.

لأن الدليل أصل والحكم فرع ، فلا يمكن أن يُقلب الوضع ، ونجعل الحكم الذي هو الفرع أصلاً ،والأصل الذي هو الدليل فرعاً.

ثم أن الإنسان إذا اعتقد قبل أن يستدل ولم تكن عنده النية الحسنة صار يلوي أعناق النصوص من الكتاب والسنة إلى ما يعتقده هو ، وحصل بذلك البقاء على هواه ، ولم يتبع الهدى)[٤٧].

تنبيه:

ليست هذه مقدمة خاصَّة بجانب الاعتقاد بل حتى في الجانب الفقهي هذه القاعدة ينبغي أن تطرد فيه.

قال ابن القيم رحمه الله –في مَعْرِضِ تقريرِه لمسألةٍ فقهيَّةٍ–:

---

[٤٦] الاعتصام ١٣٤/١.

[٤٧] لقاءات الباب المفتوح ١٤١/٢-١٤٢.

(ولكنّ هذا كلُّه عَمَلُ مَن جَعَلَ الأدلةَ تَبَعاً للمذهبِ، فاعتقدَ ثمَّ استدلَّ، وأمَّا مَن جَعَلَ المذهبَ تَبَعاً للدَّليلِ، واستدلَّ ثمَّ اعتقدَ لَمْ يُمْكِنْهُ هذا العملُ)[٤٨].

[٤٨] زاد المعاد ٥/٢٤٦.

المسائل المنتقدة على صاحب الرسالة[٤٩]:

المسألة الأولى: هل النصوص الشرعية (نصوص الصفات) تقتضي التشبيه والتمثيل؟!

قال (م.ر) في الصحيفة الأولى من رسالته:

(واعلم يا أخي أن المسلم إذا أخذ يتوغل في صفات الله التي ظاهرها تشبيه الله بخلقه فلا بد أن تداخله الشكوك وتنتابه الوساوس وذلك من مكائد الشيطان حتى يوقعه فيما لا تحمد عقباه)

كلامك هذا إنما هو ناشيء عن جهل بمعنى التشبيه وجهل بمقتضيات هذا القول وقد قيل:

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا

وآفته من الفهم السقيم

أنبه أولًا على أن هذا القول الذي قلته قاله قبلك عدد من أرباب البدعة من الأشاعرة والماتريدية بل والجهمية :

قال الإمام أحمد رحمه الله عن الجهم بن صفوان:

(... ووجد ثلاث آيات من المتشابه قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) فبنى أصل كلامه على هذه الآيات وتأول القرآن على غير تأويله وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو

[٤٩] وعددها يزيد على الأربعين مسألة وسيتم ذكرها كما وردت في رسالته –غير مرتبة- .

حدّث عنه رسوله ﷺ كان كافرًا وكان من المشبهة فأضل بكلامه بشرً كثيرًا وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية)[٥٠].

يقول الرازي في بعض نصوص الصفات:

(الرابع عشر: أن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغًا عظيمًا في تقوية التشبيه وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء وخرجت عن أن تكون قابلة للتأويل)[٥١].

وما أشنع ما قال وأقبح به من قول وفهم!!!

والرد عليه من وجوه:

الوجه الأول : في بيان معنى التمثيل والتشبيه والفرق بينهما وما يتعلق بهما من مسائل:

ينبغي أن يعلم أن الذي ورد ذمه في الكتاب والسنة هو التمثيل وكذلك ما يوافق معناه كالكفء والنظير والسمي والند .

ومثل الشيء في لغة العرب: هو نظيره[٥٢] ومكافئه الذي يقوم مقامه ويسد مسده.

واعلم أن التمثيل إذا أطلق فإنه يراد به:

مشابهة الشيء للشيء ومشاركته له في جميع الصفات الذاتية التي يقوم بها أحدهما مقام الآخر فلا يكون بمجرد الموافقة في بعض الصفات[٥٣] .

يعني موافق له تمامًا مئة بالمئة :

---

[٥٠] الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٠٤ - ١٠٥.
[٥١] المطالب العالية ٢١٣/٩ وممن نص عليه من الأشاعرة أيضًا السنوسي في شرح السنوسية الصغرى المسماة بأم البراهين مع حاشية الدسوقي ص٢١٧ وقد زعم أن الأخذ بنصوص الصفات من أصول الكفر –عياذًا بالله مما قال-.
[٥٢] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٩٦/٥.
[٥٣] انظر بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية طبعة مجمع الملك فهد –رحمه الله- ١٣٥/٣.

ويدل لذلك قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ).

ومن المعلوم أنهم بشر مثلنا وافقناهم في صفات بشرية لكن مع ذلك لسنا مثلهم يعني لا يمكن أن يمثلوا بنا لأنهم ليسوا مطابقين لنا مطابقة تامة وإنما في بعض الصفات.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن التمثيل المنفي عن الله ﷻ في القرآن والسنة هو:

ما تضمن أو استلزم ثبوت شيء من خصائص المخلوقين لله تعالى في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله.

وكذلك ما تضمن أو استلزم ثبوت شيء من خصائص الله تعالى في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله لشيء من المخلوقات.

وذلك أن كل ما كان مختصًا بالمخلوق فلا بد أن يكون فيه نقص والله تعالى منزه تنزيها مطلقًا عن كل نقص وواجب له كل كمال ومنزه في كماله عن كل مثال فامتنع أن يضاف ذلك إلى الله تعالى[٥٤].

وهذا الحد هو الذي أراده أئمة السنة فيما نقل عنهم من معنى التشبيه فإليك بعضًا مما قالوا:

- قال حنبل سألت أحمد : عن قول المشبهة ما يقولون؟ فقال: (من قال بصرٌ كبصري ويدٌ كيدي وقدمٌ كقدمي فقد شبّه الله بخلقه ...)[٥٥].
- وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله:

(إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَهَذَا التَّشْبِيهُ.

[٥٤] تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة ص ٧٩ ومنهاج السنة لابن تيمية ٢ / ٥٢٩ ، ٥٩٥.
[٥٥] إبطال التأويلات لأبي يعلى الحنبلي ٤٣/١، ٤٥ وابن البناء الحنبلي في المختار في أصول السنة ص ٩١ .

وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَلاَ يَقُولُ كَيْفَ، وَلاَ يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ، وَلاَ كَسَمْعٍ، فَهَذَا لاَ يَكُونُ تَشْبِيهًا، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ))[٥٦].

- وقال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله :

(وكما ليس كمثله شيء ليس كسمعه سمع وليس كبصره بصر ولا لهما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه)[٥٧]

- وقيل لإبراهيم بن أحمد بن شاقلا رحمه الله : أنتم المشبهة. فقال : (حاشا لله ، المشبهة الذي يقول: (وجهٌ كوجهي ويدٌ كيدي) فأما نحن فنقول: له وجه كما أثبت لنفسه وله يد كما أثبت لنفسه يدًا و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) ومن قال هذا فقد سلم)[٥٨].

هذا ما يتعلق بمعنى التمثيل المنفي عن الله ﷻ .

وإليك الآن ما يتعلق بالتشبيه:

أولًا :لفظ (التشبيه) لم يرد ذمه ولا نفيه في الكتاب والسنة وإنما الوارد التمثيل.

ثانيًا: بيان الفرق بين التشابه (التشبيه) والتماثل (التمثيل):

التشبيه في اللغة:

المشابهة والمقاربة في بعض الوجوه لا من كل الوجوه[٥٩].

ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) .

---

[٥٦] سنن الترمذي ٥١/٣.
[٥٧] نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص ١١٨.
[٥٨] طبقات الحنابلة ٢٣٩/٣.
[٥٩] الفروق لأبي هلال العسكري ١٧٦.

قال قتادة وعكرمة رحمهما الله: (يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب)[٦٠]

وهذا أحد التفسيرين للآية فقد وصفت الآية ثمر الجنة بمشابهته لثمر الدنيا وهي مشابهة واشتراك من بعض الوجوه مع القطع بنفي المماثلة بينهما بل بينهما تباين عظيم من حيث الكيفية والحقيقة فالمشابهة ها هنا ثابتة والمماثلة منفية مما يدلك على ثبوت الفرق بينهما[٦١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ: هَلْ لَفْظُ الشِّبْهِ وَالْمِثْلِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ أَوْ مَعْنَيَيْنِ، عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَأَنَّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ لَفْظُ الْمِثْلِ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ الشِّبْهِ، وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ النُّظَّارِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَعْنَاهَا مُخْتَلِفٌ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ لُغَةً وَشَرْعًا وَعَقْلًا، وَإِنْ كَانَ مَعَ التَّقَيُّدِ وَالْقَرِينَةِ يُرَادُ بِأَحَدِهِمَا مَا يُرَادُ بِالْآخَرِ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ النَّاسِ، وَهَذَا الِاخْتِلَافُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَسْأَلَةٍ عَقْلِيَّةٍ، وَهُوَ أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُشْبِهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ، وَلِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ: فَمَنْ مَنَعَ أَنْ يُشْبِهَهُ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ قَالَ: الْمِثْلُ وَالشِّبْهُ وَاحِدٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ يُشْبِهُ الشَّيْءُ الشَّيْءَ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ – فَرَّقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ النَّاسِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَعْرَاضَ مِثْلَ الْأَلْوَانِ تَشْتَبِهُ فِي كَوْنِهَا أَلْوَانًا، مَعَ أَنَّ السَّوَادَ لَيْسَ مِثْلَ الْبَيَاضِ، وَكَذَلِكَ الْأَجْسَامُ وَالْجَوَاهِرُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُقَلَاءِ تَشْتَبِهُ فِي مُسَمَّى الْجِسْمِ وَالْجَوْهَرِ، وَإِنْ كَانَتْ حَقَائِقُهَا لَيْسَتْ مُتَمَاثِلَةً، فَلَيْسَتْ حَقِيقَةُ الْمَاءِ مُمَاثِلَةً لِحَقِيقَةِ التُّرَابِ، وَلَا حَقِيقَةُ النَّبَاتِ مُمَاثِلَةً لِحَقِيقَةِ الْحَيَوَانِ، وَلَا حَقِيقَةُ النَّارِ مُمَاثِلَةً لِحَقِيقَةِ الْمَاءِ وَإِنِ اشْتَرَكَا فِي أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا جَوْهَرٌ وَجِسْمٌ وَقَائِمٌ بِنَفْسِه)[٦٢].

---

[٦٠] تفسير الطبري ٣٩١/١.
[٦١] مجموع الفتاوى ٥/ ٣٤٧.
[٦٢] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٤٤/٣-٤٤٥.

وهذا أقر بهذا حتى جمع من المتكلمين كابن الهمام الحنفي الماتريدي فقد قال: (المثلية تقتضي المساواة في كل الصفات والتشبيه لا يقتضيه)[٦٣].

وبينه أيضًا من المتكلمين أبو معين النسفي[٦٤] وغيرهما.

ثالثًا: إن مسمى التشبيه قد ورد نفيه في كلام جمع من السلف [٦٥].

بل إن السلف قد حكموا بكفر من شبه صفات الله بصفات خلقه وقالوا بردته ووجوب قتله.

ولذلك يقال : إن نفي مسمى التشبيه عن الله حقٌ وهو لازم واجب[٦٦].

وإنما وجب نفي مسمى (التشبيه) على ما فيه من إجمال لأن الإجمال الذي لحق بهذا الاسم لم يكن من جهة لفظ (التشبيه) ومسماه وإنما كان من جهة ما ألحقه به النفاة من معان غير داخلة فيه بأصل الوضع وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حين قال: (لفظ التشبيه في كلام هؤلاء النفاة المعطلة لفظ مجمل)[٦٧] فبين أن الإجمال الذي في لفظ (التشبيه) إنما هو في عرف خاص خاطئ فلا يمنع ذلك من نفيه باعتبار معناه الصحيح الذي قصده السلف من نفيهم للتشبيه ولذا قال شيخ الإسلام بعد كلامه السابق بأسطر في ذكر مذهب أهل السنة والجماعة: (ينزهونه عن النقص والتعطيل وعن (التشبيه) والتمثيل إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل).

رابعًا: وإذا كان نفي مسمى التشبيه لازمًا فإن الألزم من ذلك هو بيان معنى التشبيه الذي ذمه السلف.

---

[٦٣] المسامرة شرح المسايرة ٣٠٨.
[٦٤] تبصرة الأدلة ١/١٥٠-١٥١.
[٦٥] كما في نقض الدارمي على المريسي وأصول السنة لابن أبي زمنين والسنة للالكائي وشرح السنة للبربهاري وعقيدة السلف للصابوني.
[٦٦] منهاج السنة لابن تيمية ٢/٥٢٦.
[٦٧] منهاج السنة ٢/١١٠.

وذلك أن التشبيه – وإن كان نفيه صحيحًا – إلا أنه كما تقدم قد دخل عليه من جهة الاصطلاح معانٍ باطلة جعلته من الألفاظ المجملة التي يلزم فيها التفصيل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(إذ لفظ التشبيه فيه إجمال واشتراك وإيهام بخلاف لفظ التمثيل الذي دل عليه القرآن ونفى موجبه عن الله عز وجل)[٦٨].

لذا كان لزامًا التفصيل في معاني التشبيه:

المعنى الأول: التماثل من كل وجه .

وهذا المعنى منفي عن الله عن الله باتفاق ولم يقل به حتى الممثلة.

المعنى الثاني: التماثل من وجه دون وجه وهذا منفي عن الله أيضًا.

وخالف في ذلك الممثلة ممن وصفهم الأئمة كالإمام أحمد وغيره بأنهم يقولون : لله يد كيدي وسمع كسمعي وقدم كقدمي.

وهذان الإطلاقان: يتضمنان التماثل في الحقيقة والكيفية بأن يوصف الباري بشيء من خصائص المخلوق وهما اللذان دل الدليل على نفيهما فمن قال بأحدهما فقد شبه الله بخلقه ووقع في الكفر – عياذًا بالله –.

المعنى الثالث: التشابه من وجه دون وجه بالاشتراك في أصل المعنى. أي في المعنى الكلي الذهني المطلق وهو ما عرف بمسألة (القدر المشترك في الصفات).

وهذا النوع من التشبيه غير منفي عن الله بإطلاق بل هو ثابت وهو لا يستلزم التمثيل المنفي عن الله.

---

[٦٨] بيان تلبيس الجهمية ١٠٩/١.

والسلف في نفيهم للتشبيه إنما أرادوا نفي التمثيل الذي نفته النصوص سواء أكان تمثيلًا من كل وجه أو من وجه دون وجه ولم يريدوا المعنى الثالث إذ نفي هذا المعنى مستلزم لنفي الصفات وهذا ما لم يقصده السلف بحال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مقررًا لما سبق:

(نفي التشبيه من كل وجه هو التعطيل والجحود لرب العالمين كما عليه المسلمون متفقون كما أن إثباته مطلقاً هو جعل الأنداد لرب العالمين لكن من الناس من لا يفهم هذا ولا يعتقد أن لفظ التشبيه يدل على التمثيل المنفي عن الله إذ لفظ التشبيه فيه عموم وخصوص كما سنبينه ومن هنا ضل فيه أكثر الناس إذ ليس له حد محدود وما هو منتفٍ بالاتفاق بين المسلمين بل بين أهلل الملل كلهم بل بين جميع العقلاء المقرين بالله معلوم بالضرورة العقل ومنه ما هو ثابت بالاتفاق بين المسلمين بل بين أهل الملل كلهم بل بين جميع العقلاء للتقرير بالصانع فلما كان لفظ التشبيه يقال على ما يجب انتفاؤه وعلى ما يجب إثباته لم يرد الكتاب والسنة به مطلقاً لا في نفي ولا إثبات ولكن جاءت النصوص في النفي بلفظ المثل والكفو والند والسمي ... بخلاف لفظ التشبيه فإنه يقال على ما يشبه غيره ولو من بعض الوجوه البعيدة وهذا مما يجب القول به شرعاً وعقلاً بالاتفاق ولهذا لما عرف الأئمة ذلك وعرفوا حقيقة قول الجهمية وأن نفيهم لذلك من كل وجه مستلزم لتعطيل الصانع ووجوده كانوا يبينون ما في كلامهم من النفاق ... والتعطيل ويمنعون عن إطلاق لفظهم العليل لما فهموه من مقصودهم وإن لم يفهمه أهل الجهل والتضليل)[٦٩].

وقال أيضًا رحمه الله : (ولهذا كان أئمة السنة ومحققو أهل الكلام يمنعون أن يقال: لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه فإن مقتضى هذا كونه معدومًا ومنهم طوائف يطلقون هذا لكن من هؤلاء من يريد بنفي التشابه نفي التماثل فلا يكون بينهما خلاف معنوي إذ هم متفقون

[٦٩] بيان تلبيس الجهمية ٦/ ٤٨٤-٤٨٩.

على نفي التماثل بوجه من الوجوه كما دل على ذلك القرآن كما قد بيناه في غير هذا الموضع كما يعلم بالعقل أيضًا)[٧٠].

~ مسألة القدر المشترك معناه وبيان ثبوته وغلط المتكلمين فيه:

أهميتها :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد بيانه لهذه المسألة:

(وهذا الموضع من فهمه جيدًا زالت عنه عامة الشبهات وانكشف له غلط كثير من الأذكياء في هذا المقام)[٧١].

وقال أيضًا: (فإنه مقام زلت فيه الأقدام وضلت فيه أحلام والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[٧٢].

معناها:

ما تشترك فيه الموجودات من: معانٍ ذهنية كلية مطلقة[٧٣].

~ شرح مفردات:

(مشترك ، معنى ، ذهني ، كلي ، مطلق)

فأما (المشترك) فإنه اللفظ الموضوع لمعانٍ متعددة[٧٤].

والمراد بالاشتراك هنا ما يسميه النحاة (اسم جنس) ويسمي معانيه المنطقيون : (كليات) :

---

[٧٠] بيان تلبيس الجهمية ٤٧٧/١.
[٧١] التدمرية ص ١٢٨.
[٧٢] اقتضاء الصراط المستقيم ت الفقي ٤٦٤.
[٧٣] قد عرفها شيخ الإسلام بهذا التعريف في عدة مواضع منها: ما في التدمرية ص١٢٥-١٢٨: (بل الذهن يأخذ معنى مشتركًا كليًا هو الاسم المطلق) وقال أيضًا في درء التعارض ٨٥/٥ :(القدر المشترك الكلي المطلق) وفي مواضع كثيرة جدًا في كتبه.
[٧٤] التعريفات للجرجاني ٢٧٤.

وهو اللفظ المفرد الدال على أعيان متعددة بمعنى عام مشترك بين الأفراد لا على السواء بل على التفاوت والتفاضل.

وقريب من هذا قولنا : (كلي) فإن (المشترك) أحد أنواع (الكلي) .

وقولنا : (معنى) بيّن ويخرج به أمران:

الأمر الأول: الاشتراك اللفظي فقط فليس هذا داخلًا في بابنا مثل قولنا: لمن اشترى شيئًا (مشتريًا) وقولنا للكوكب المعروف: (المشتري) فليس هناك أدنى علاقة في المعنى بين هذين الأمرين.

الأمر الثاني: أن يكون الاشتراك في الحقيقة (الكيفية) كما يقول به بعض الممثلة.

وقولنا : (ذهني) : أي أن هذا المعنى المشترك غير موجود في الخارج وإنما هو معنى يُفهم في الذهن والذهن يفهمه مطلقًا أي غير مختص بواحد من الأشياء المعينة بل يفهم منه الذهن قدرًا يوجد في الأشياء المتباينة . وهذا معنى القول بأنه : (مطلق) وإنما الذي يكون في الخارج هو القدر المختص المعين المقيد[٧٥].

وهذا القدر المشترك الكلي لا يكون ثابتًا بعينه في الأمور المتعينة في الوجود الخارجي فالاشتراك إنما يكون في الوجود الذهني وأما الوجود الخارجي فلا اشتراك فيه بل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (كل موجود فله ما يخصه من حقيقته مما لا يشركه فيه غيره بل ليس بين موجودين في الخارج شيء بعينه اشتركا فيه ولكن تشابها ففي هذا نظير ما في هذا كما أن هذا نظير هذا وكلٌ منهما متميز بذاته وصفاته عمّا سواه فكيف الخالق سبحانه وتعالى)[٧٦].

[٧٥-٧٥] التدمرية ص ١٢٨.

[٧٦] اقتضاء الصراط المستقيم ٤٦٤ وانظر : مجموع الفتاوى ٣٣٠/٥ و ٦٠/٩.

مثال: الذهن يفهم من لفظة: (السميع) قدرًا مطلقًا وهو (مطلق السمع) ولا يوجد في الخارج شيء يسمى: (سمعًا) بهذا الإطلاق بل لا يوجد إلا مضافًا معينًا (سمع الله) أو (سمع المخلوق) فهذا اللفظ المشترط المطلق يتناول الاثنين[٧٧].

~ بيان ثبوت القدر المشترك بين الموجودات على الحقيقة:

هذا أمر بدهي عقلي يعرفه من عنده أدنى ذرة تأمل:

فكل موجودين لا بد أن يكون بينهما قدر مشترك في بعض المعاني: (اشتراك في المعنى الذهني المطلق) أي أنهما يجتمعان في شيء ويفترقان في شيء فيكون بينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه حتى لو كان هذا الاشتراك في أصل معنى الوجود ويكون هذا القدر المشترك حقيقة في كل منهما.

وإثبات هذا القدر المشترك لازم عقلًا وشرعًا وفطرةً: فالطفل الصغير يعلم أنه موجود وأن أباه موجود وأن دميته موجودة وليس مراده إقراره فقط بلفظ الوجود بل قد لا يعرف لفظه أصلًا وإنما المراد إقراره بالمعنى المشترك للوجود في هذه الأشياء وهو أن هذه الأشياء (نفسه ، أباه ، كل ما حوله من محسوسات) حاصلة متحققة غير معدومة مع إدراكه أن وجود نفسه وجسمه مفارق لوجود أبيه ولجسمه ووجود أبيه مفارق لوجود دميته وكيفيتها ووجود دميته مفارق لوجود ثيابه وهيئتها وهكذا، مع اتفاقهم كلهم في أمر مشترك وهو الوجود فهو موجود فيهم لكن كل وجود فيهم مغاير لوجود غيره.

قال ابن تيمية رحمه الله: (ما من شيئين إلا وهما متفقان في أمر من الأمور ولو في كونهما موجودين)[٧٨].

[٧٧] الرد على الشاذلي لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٢٠.
[٧٨] درء تعارض العقل والنقل ١٨٣/٥.

وقد ذكر ذلك وقرره جماعة من السلف إما تنصيصًا وإما إشارة فأذكر مثالًا على تنصيص بعضهم عليه وربطه بباب أسماء الله وصفاته:

وهو قول الإمام عثمان الدارمي رحمه الله :(إنما نصفه بالأسماء لا بالتكييف ولا بالتشبيه كما يقال: إنه ملك كريم عليم حكيم رحيم لطيف مؤمن عزيز جبار متكبر وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء وإن كانت مخالفة لصفاتهم فالأسماء فيها متفقة والتشبيه والكيفية مفترقة كما يقال: (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء) يعني: في الشبه والطعم والذوق والمنظر واللون فإذا كان كذلك فالله أبعد من الشبه وأبعد)[٧٩].[٨٠]

وأما أدلته الشرعية فهي أكثر من أن تحصى هنا فمنها:

- قال تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وقال في خلقه : (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) فهل تنفي الحياة عن الله تعالى لأن ظاهر هذه النصوص تشبيه الله بخلقه الذين اتصفوا بضفة الحياة؟! إن قلت : نعم فبالكفر نطقت وإن قلت : لا قلنا لك : وفي باقي الصفات فقل مثل قولك هذا.
- قال تعالى: (وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) وقال في إسحاق عليه السلام: (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ)

وقال يوسف واصفًا نفسه: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)

فالله متصف بالعلم وإسحاق ويوسف عليهما السلام متصفين بالعلم ولكن شتان بين العلمين فالله تبارك وتعالى له علم واسع (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) وقال عن البشر وعلمهم: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) فهو ناشئ بعد جهل وهو أيضًا عرضة للضياع : (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)

---

[٧٩] نقض الدارمي على المريسي ٣٠٣/١.

[٨٠] هذا ما اختصرته في مسألة القدر المشترك ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب "قلب الأدلة" لتميم القاضي ففيه جمع لكلام شيخ الإسلام من شتى كتبه.

وهو أيضًا قاصر عن أشياء كثر ومنها قوله تعالى: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) فالله أثبت لخلقه علمًا وأثبت لنفسه العلم لكن علم خلقه قاصر لا يساوي شيئًا مقارنة بعلم الله تبارك وتعالى فأثبت الله لنفسه العلم وأثبت لخلقه وبين أن علمه واسع وعلم خلقه قاصر فأين التشبيه في الباب؟! وهكذا دواليك في كل آيات الصفات جمعاء.

- وقال ﷻ : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) وقال عن خلقه: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) أفسمع الله كسمع خلقه أم بصره كبصر خلقه كلا وألف كلا هو أثبت لنفسه ذلك مع تقريره في الآيات الأخر أنه ليس كمثله شيء فيثبت لنفسه سمعًا وبصرًا ليس كمثله سمع ولا بصر . الله يثبت ذلك لنفسه ثم نأتي بجهلنا وظلمنا فننكره أو نؤله؟! هذا والله من أعظم الإلحاد.
- قال تعالى :(إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) وقال عن نبيه مُحَمَّد ﷺ : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

~ الآيات المتقدمة في أسماء الله والأسماء هذه متضمنة للصفات لكن من باب الإفادة أذكر نصوصًا أخرى في صفات الله وصفات خلقه:

- قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) وقال عن خلقه: (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ) وليست الوقتين سواء وقد تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) وفي هذه الآية: جمع بين إثبات صفة القوة لله ولخلقه لكن الله أشد منهم قوة سبحانه وتعالى.
- قال تعالى: (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا) وقال: (وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) وقال عن خلقه: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) وليس النداء كالنداء شتان بينهما فلله نداء يليق بجلاله سبحانه.

- قالت عائشة ﵂: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت خولة إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها فكان يخفى علي كلامها فأنزل الله عز وجل :(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا))[٨١].

فانظر كيف أن عائشة ﵂ أثبت لله سمعًا واسعًا يليق به وأثبتت لنفسها سمعًا قاصرًا يليق بها حيث كان يخفى عليها بعض كلام خولة وهذا الأثر نص في الباب.

قال العلامة حمد بن معمّر رحمه الله: (وليس بين صفة الخالق والمخلوق مشابهة إلا في اتفاق الاسم)[٨٢]

والأمثلة كثيرة وهذه بعض منها فقط.

إذن فالقاعدة : (الاشتراك في المسميات أو الصفات لا يلزم منه تماثل المسميات أو الموصوفات)[٨٣].

فبناءً على ما تقدم يكون قول القائل :(إن نصوص الصفات ظاهرها التشبيه) قول مجمل يحتاج إلى تفصيل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(القاعدة الثالثة – إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد، أو ظاهرها ليس بمراد.

فإنه يقال: لفظ «الظاهر» فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد.

ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمّون هذا ظاهرا، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرًا وباطلا، والله – سبحانه وتعالى – أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال.

---

[٨١] رواه النسائي برقم ٣٤٦٠ وإسناده صحيح (صحيح سنن النسائي للألباني).
[٨٢] التحفة المدنية في العقيدة السلفية ص ٢٨.
[٨٣] دل عليها كل ما تقدم ذكره ونص عليه شيخ الإسلام في مواضع كثيرة جدًا منها التدمرية ص ٢٠-٢١ و ص ١٤ ونص عليها غيره.

والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين:

تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ، حتى يجعلوه محتاجًا إلى تأويل يخالف الظاهر، ولا يكون كذلك.

وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ، لاعتقادهم أنه باطل)[٨٤].

الوجه الثاني:

وقوع صاحب هذا القول في محاذير خطيرة جدًا بل كفرية[٨٥]:

يلزم من قولك هذا أن الأخذ بظواهر نصوص الصفات كفر وضلالة لأنه تشبيه لله تعالى بخلقه وتشبيه الله بخلقه[٨٦] كفر كما قرر ذلك علماء المسلمين أجمعين.

وهذا اللازم في الحقيقة وإن لم تصرّح به فقد صرح به غيرك ممن قال بقولك:

كالسنوسي القائل في عده لأصول الكفر عنده: (التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية)[٨٧].

وهذا والعياذ بالله قول كفري: يلزم منه أن نصوص الكتاب والسنة صرحت بالكفر وتشبيه الله بخلقه وأن تهدي للضلال والغواية وهذا من أعظم الافتراء على الله ﷻ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – في معرض كلامه عن عقيدتهم – مبينًا قولهم وضلاله :

(وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم. على طريقة أكثرهم. فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

---

[٨٤] التدمرية ص ٦٩.

[٨٥] مع القول بعدم تكفيره فإن هناك فرقًا بين التكفير بالأوصاف وبين التكفير بالأعيان .

[٨٦] المراد بالتشبيه هنا التماثل في وجه دون وجه لا في الاشتراك في أصل المعنى.

[٨٧] شرح السنوسية ص ٢١٧ مع حاشية الدسوقي.

وهذا الكلام قد رأيته صرَّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيد عنه، ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة ـ وهم المشركون ـ والمجوس، وبعض الصابئين .... وما أشبه هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه وتعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا • فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) .... ولازم هذه المقالة: أن لا يكون الكتاب هدًى للناس، ولا بيانًا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورًا، ولا مردًّا عند التنازع، لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصًا ولا ظاهرًا ... ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينهم؛ لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول ﷺ يومًا من الدهر، ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا؛ فإنه الحق، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه.

ثم الرسول ﷺ قد أخبر أن أمته ستفترق ثلاثًا وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون، ثم قال: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله» .

ورُوي عنه ﷺ أنه قال في صفة الفرقة الناجية: «هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» .

فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين)[٨٨].

وكل واحدٍ من هذه اللوازم التي ذكرها شيخ الإسلام مكفر لوحده – حمانا الله وإياكم منها –

وقال شيخ الإسلام أيضًا: (وهذا يتبين بالقاعدة الرابعة – وهي أن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات، أو في كثير منها، أو أكثرها، أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين؛ ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير:

أحدها – كونه مثّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني – أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطّله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله ﷺ – حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل – قد عطل ما أودع الله ورسوله ﷺ في كلامهما من إثبات الصفات لله، والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله سبحانه.

الثالث – أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلا لما يستحقه الرب تعالى.

[٨٨] الحموية ٢٠-٢٣.

الرابع – أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات، أو صفات المعدومات. فيكون قد عطَّل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالى، ومثَّله بالمنقوصات والمعدومات)[٨٩].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمَعْنَى الْفَاسِدَ الْكُفْرِيَّ لَيْسَ هُوَ ظَاهِرَ النَّصِّ وَلَا مُقْتَضَاهُ، وَأَنَّ مَنْ فَهِمَ ذَلِكَ مِنْهُ فَهُوَ لِقُصُورِ فَهْمِهِ وَنَقْصِ عِلْمِهِ، وَإِذَا كَانَ قَدْ قِيلَ فِي قَوْلِ بَعْضِ النَّاسِ:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ وَقِيلَ:

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ أَمَاكِنِهَا ... وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمِ الْبَقَرُ

فَكَيْفَ يُقَالُ فِي قَوْلِ اللَّهِ، الَّذِي هُوَ أَصْدَقُ الْكَلَامِ وَأَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ). إِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ إِنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ هُوَ الْكُفْرُ وَالضَّلَالُ، وَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ بَيَانٌ لِمَا يَصْلُحُ مِنَ الْاعْتِقَادِ، وَلَا فِيهِ بَيَانُ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ؟ ! هَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ الْمُتَأَوِّلِينَ.

وَالْحَقُّ أَنَّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا كَانَ بَاطِلًا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ. وَالْمُنَازِعُونَ يَدَّعُونَ دَلَالَتَهُ عَلَى الْبَاطِلِ الَّذِي يَتَعَيَّنُ صَرْفُهُ!

فَيُقَالُ لَهُمْ: هَذَا الْبَابُ الَّذِي فَتَحْتُمُوهُ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَى إِخْوَانِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوَاضِعَ قَلِيلَةٍ حَقِيقَةً، فَقَدْ فَتَحْتُمْ عَلَيْكُمْ بَابًا لِأَنْوَاعِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى سَدِّهِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا سَوَّغْتُمْ صَرْفَ الْقُرْآنِ عَنْ دَلَالَتِهِ الْمَفْهُومَةِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، فَمَا الضَّابِطُ فِيمَا يَسُوغُ تَأْوِيلُهُ وَمَا لَا يَسُوغُ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: مَا دَلَّ الْقَاطِعُ الْعَقْلِيُّ عَلَى اسْتِحَالَتِهِ تَأَوَّلْنَاهُ، وَإِلَّا أَقْرَرْنَاهُ! قِيلَ لَكُمْ: وَبِأَيِّ عَقْلٍ نَزِنُ الْقَاطِعَ الْعَقْلِيَّ؟ فَإِنَّ الْقِرْمِطِيَّ الْبَاطِنِيَّ يَزْعُمُ

[٨٩] التدمرية ص ٧٩-٨٠.

قِيَامَ الْقَوَاطِعِ عَلَى بُطْلَانِ ظَوَاهِرِ الشَّرْعِ! وَيَزْعُمُ الْفَيْلَسُوفُ قِيَامَ الْقَوَاطِعِ عَلَى بُطْلَانِ حَشْرِ الْأَجْسَادِ! وَيَزْعُمُ الْمُعْتَزِلِيُّ قِيَامَ الْقَوَاطِعِ عَلَى امْتِنَاعِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى امْتِنَاعِ قِيَامِ عِلْمٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ رَحْمَةٍ بِهِ تَعَالَى! ! وَبَابُ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي يَدَّعِي أَصْحَابُهَا وُجُوبَهَا بِالْمَعْقُولَاتِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَنْحَصِرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ)[٩٠].

خلاصة ما تقدم ذكره من اللوازم الكفرية من هذه النقول:

١- ظاهر نصوص القرآن والسنة هو الضلال البعيد والكفر الصريح لأنه تشبيه خالق بخلقه.

٢- أن الكتاب والسنة لا يصلحان أن يكونا مصدر تلقي لمسائل العقيدة.

٣- أن ترك الناس بلا قرآن وسنة خير لهم من إنزال قرآن وسنة يخالفان ما يظنون الله به.

٤- أن الرسول ﷺ وصحابته خائنون للأمانة لأنهم لم يبينوا المقصود من هذه النصوص فبقي الناس في حيرة بعدهم.

٥- بل هذا يستلزم كفر الصحابة لأنهم أقروا بالكفر ولم يبينوه ويحذروا الناس من الأخذ بظاهر النصوص.

٦- أن لا يكون الكتاب والسنة مردًا عند التنازع فلا يكون بعدهما مرد يرجع إليه الناس عند التراجع فإن قلت العقل قلنا عقول الناس متفاوتة فقد يرى الشخص هذا حسنًا ولا يراه غيره كذلك فإلى أي عقل تردنا لكي نتفق عليه بعد أن أبطلت الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؟!

٧- أن كتاب الله ليس كتابًا محكمًا إذ فيه أمور تفيد الكفر وأي إحكام مع تنصيص على كفر؟!

٨- إبطال دلالات النصوص وصرفها عن ظاهرها فيأتيك المتصوفة ويقولون في نصوص الحج المقصود الحج إلى الأولياء ويأتيك الرافضة ويقول بأن نصوص الإمامة يراد بها

[٩٠] شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٥٦-٢٥٧.

إمامة المعصوم ويأتيك الباطنية وغيرهم من الملاحدة ويقولون بأن نصوص القيامة ليست على ظاهرها بل هي ليست موجودة ولن تقع لأن المراد من هذه النصوص تخويف الناس فقط لكي يرتدعوا عن فعل الرذائل وهكذا دواليك.

٩- إساءة الظن بالله حيث لازم قوله أن الله يذم نفسه ويتنقصها.

١٠- تعطيل نصوص الصفات عن معانيها ومدولاتها وهي نصوص كثيرة فتعطيل مدلولها يعني تعطيل كثير من نصوص القرآن والسنة .

١١- أنه قال قوله فرارًا من التشبيه فوقع فيه حيث نفى عن الله صفات البشر ثم شبهه بصفات المعدومين.

١٢- تكذيب الله ورسوله فإنه بقوله هذا أخبر بأن هذه النصوص دلت على باطل والله يقول: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

وكل واحدة من اللوازم السابقة يوجب الكفر- عافاني الله وإياكم - :

قال الشيخ العلامة مُحَمَّد بن عثيمين رحمه الله

(من اعتقد أن ظاهر نصوص الكتاب والسنة التمثيل فقد كفر لأن تمثيل الله بخلقه كفر ومن زعم أن ظاهر الكتاب والسنة ما يقتضي الكفر فهو كافر لأن الكتاب والسنة يقرران الإيمان وينكران الكفر)[٩١].

أختم هذا الوجه بقول الشيخ العلامة مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله في معرض رده على أحمد الصاوي: (وأما قوله: إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر فهذا أيضًا من أشنع الباطل وأعظمه وقائله من أعظم الناس انتهاكًا لحرمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ).

[٩١] شرح العقيدة السفارينية ص ١١٤.

والتحقيق الذي لا شك فيه وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وعامة علماء المسلمين أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجوه حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح)[٩٢].

الوجه الثالث : أن ظاهر كل نصٍ يختلف حسب سماع كل سامع فقد يظهر لسامع أن إثبات الصفات لله تعالى تشبيه ولا يظهر لسامع آخر وسبب ذلك تغير الفطرة وفساد البيئة فإذا كان السامع لنصوص الصفات سليم القلب صحيح الفطرة ولم يتأثر ببيئة فلسفية كلامية لم يفهم منها إلا ما هو اللائق بالله تعالى ولا خطر بباله رائحة التمثيل والتشبيه فأقحاح العرب في جاهلية وإسلام حين سمعوا كلام الله وكلام رسول الله ﷺ حول الصفات لم يقل أحد منهم ألبتة إن ظاهره التشبيه أو ظاهره غير مراد وهكذا خيار الأمة بعد الصحابة رضوان الله عليهم فالتابعون مضوا على هذا بدون نكير ولا ارتياب ولا تأويل ولا تفويض مزور بل كان إثبات الصفات بلا تشبيه وتنزيه الله بلا تعطيل.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مشيرًا إلى هذا الوجه:

(تَنَازَعَ النَّاسُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَخْبَارِهَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ بَلِ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ عَلَى إِقْرَارِهَا وَإِمْرَارِهَا مَعَ فَهْمِ مَعَانِيهَا وَإِثْبَاتِ حَقَائِقِهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا أَعْظَمُ النَّوْعَيْنِ بَيَانًا وَأَنَّ الْعِنَايَةَ بِبَيَانِهَا أَهَمُّ لِأَنَّهَا مِنْ تَمَامِ تَحْقِيقِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِثْبَاتَهَا مِنْ لَوَازِمِ التَّوْحِيدِ، فَبَيَّنَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ بَيَانًا شَافِيًا لَا يَقَعُ فِيهِ لَبْسٌ يُوقِعُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

وَآيَاتُ الْأَحْكَامِ لَا يَكَادُ يَفْهَمُ مَعَانِيَهَا إِلَّا الْخَاصَّةُ مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا آيَاتُ الصِّفَاتِ فَيَشْتَرِكُ فِي فَهْمِ مَعْنَاهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، أَعْنِي فَهْمَ أَصْلِ الْمَعْنَى لَا فَهْمَ الْكُنْهِ وَالْكَيْفِيَّةِ، وَلِهَذَا أَشْكَلَ عَلَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) حَتَّى

[٩٢] أضواء البيان ٢٦٦/٧.

يُبَيَّنَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: (مِنَ الْفَجْرِ) وَلَمْ يُشْكِلْ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى غَيْرِهِ قَوْلُهُ: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) وَغَيْرُهَا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ آيَاتِ الْأَحْكَامِ مُجْمَلَةٌ عُرِفَ بَيَانُهَا بِالسُّنَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) فَهَذَا مُجْمَلٌ فِي قَدْرِ الصِّيَامِ وَالْإِطْعَامِ، فَبَيَّنَتْهُ السُّنَّةُ بِأَنَّهُ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ إِطْعَامُ سِتَّةِ مَسَاكِينَ أَوْ ذَبْحُ شَاةٍ، وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ كَآيَةِ السَّرِقَةِ وَآيَةِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، وَلَيْسَ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا مُجْمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ مِنْ خَارِجٍ بَلْ بَيَانُهَا فِيهَا وَإِنْ جَاءَتِ السُّنَّةُ بِزِيَادَةٍ فِي الْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ)[٩٣].

وقال الإمام المقريزي رحمه الله مقررًا لهذا الوجه :

(اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه مُحَمَّدا صلّى الله عليه وسلّم رسولا إلى الناس جميعا، وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى، بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه صلّى الله عليه وسلّم الروح الأمين وبما أوحى إليه ربه تعالى، فلم يسأله صلّى الله عليه وسلّم أحد من العرب بأسرهم، قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه صلّى الله عليه وسلّم عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهي، وكما سألوه صلّى الله عليه وسلّم عن أحوال القيامة والجنة والنار، إذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه صلّى الله عليه وسلّم في أحكام الحلال والحرام، وفي الترغيب والترهيب، وأحوال القيامة والملاحم والفتن، ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث، معاجمها ومسانيدها وجوامعها، ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبويّ، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة ﷺ، وعلى اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم، أنه سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن معنى شيء مما وصف الربّ، سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات، نعم ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له

[٩٣] مختصر الصواعق المرسلة ص٢٨ .

تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوقا واحدا. وهكذا أثبتوا ﷺ ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرّض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى، وعلى إثبات نبوّة مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم، سوى كتاب الله، ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة، فمضى عصر الصحابة ﷺ على هذا)[٩٤].

قال العلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني رحمه الله مقررًا لهذا الوجه أيضًا :

(كان العرب الذين خوطبوا بالقرآن والسنة أولًا – كغيرهم من الناس – يعلمون بعقولهم الفطرية وما توارثوه عن الشرائع أن الله عزَّ وجلَّ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فكانوا يعلمون أنه سبحانه ليس بحجر ولا شجر ولا كوكب ولا إنسان ولا طائر ولا جنّي ولا ملَك ولا مخلوق من المخلوقات التي عرفوها والتي لم يعرفوها، بل هو ربُّ كلِّ شيء وخالقُه. وقد شهد لهم القرآن بأنهم كانوا يعتقدون وجود الله عزَّ وجلَّ وربوبيته، وأنه الذي يرزق من السماء والأرض، والذي يملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويدبِّر الأمر كلَّه، وله الأرض وما فيها. ربُّ السماوات السبع، وربُّ العرش العظيم، بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه. خلَقَ السماوات والأرض، وسخَّر الشمس والقمر. يبسط الرزق لمن يشاء ويَقدِر له. ينزِّل من السماء ماء، فيُحيي به الأرض. خلَقَ السماوات والأرض، وهو العزيز العلم. إلى غير ذلك ... وكانوا كغيرهم من أصحاب العقول الفطرية يعقلون أن لله سبحانه وتعالى ذاتًا قائمة بنفسها، ولم يكن ذلك موجبًا أن يتوهَّموا أنه من جنس ما يرونه ويلمسونه، ولا مماثلًا لشيء من ذلك. فقد كانوا يعتقدون وجود الجن

[٩٤] كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ١٨٨/٤.

والملائكة، وأنها قد تكون بحضرتهم، وهم لا يرونها، ولا يسمعون كلامها، ولا يُحسُّون بمزاحمتها لهم. ويعلمون أن الله عزَّ وجلَّ أعلى وأجلُّ وأبعدُ عن مماثلة ما يرونه ويلمسونه ...

ولم يكونوا إذا قيل لهم: يد الله – مثلًا – ليفهموا من ذلك يدًا كأيديهم، فإنهم يعلمون أن المضاف يختلف باختلاف المضاف إليه. يقال: رأس نحلة رأس جرادة، رأس حمامة، رأس إنسان، رأس حصان؛ فيختلف كما ترى، فما بالك بنحو "يد الله"؟ مع ما قدَّمنا أنهم كانوا يعلمون أنه تعالى ليس بإنسان ولا جنِّي ولا ملَك، ولا مماثل لشيء من ذلك ولا لغيرها من مخلوقاته؛ وأنه أعلى وأجلُّ وأكبر من ذلك كلِّه)[٩٥].

الوجه الرابع : القول في بعض الصفات كالقول في الذات:

فإنك زعمت أن إثبات هذه الصفات يلزم منه التشبيه ويرد على هذا القول بهذه القاعدة: (القول في الصفات كالقول في الذات) وكذلك (القول في بعض الصفات كالقول في الآخر).

~ معناها: إذا كان لله ﷻ ذاتٌ حقيقيةٌ ثابتةٌ مستوجبةٌ للكمال لا يماثلها شيء ، فكذلك ما يقوم بذات الله من الصفات ، فهي صفاتٌ حقيقةٌ لا يماثلها شيء من الصفات وحكمها حكم الذات الإلهية.

وكذلك القول في القاعدة الثانية: فمن أثبت لله صفاتًا [٩٦] تليق به فكذلك يلزمه في باقي الصفات إثباتها بما يليق به.

~ من نص على هذه القاعدة؟

الجواب: إن العلماء في هذه القاعدة على نوعين:

النوع الأول: من نص عليها تنصيصًا .

---

[٩٥] التنكيل ٢/٤٦٠-٤٦١.
[٩٦] كالأشاعرة والمعتزلة.

النوع الثاني : من طبقها ولم ينص عليها تنصيصًا .

ومنهم من جمع بين الأمرين.

أمثلة من أقوال العلماء في التنصيص عليها:

١-قال أبو الحسن الأشعري –عفا الله عنا وعنه- (ت ٣٢٤هـ):

(وأجمعوا على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المحدثين كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين)[٩٧].

٢-وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله (ت ٣٨٨ هـ):

(والأصل في هذا الباب -الأسماء والصفات- أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى في ذلك حذوه وأمثاله فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف)[٩٨].

٣-وقال الإمام أبو نصر السجزي رحمه الله (ت ٤٤٤ هـ):

(إن الذين يزعمون بشاعته من قولنا في الصفات ليس على ما زعموه ، ومع ذلك فلازمٌ له في إثبات الذات مثل ما يلزمون أصحابنا من الصفات)[٩٩]

٤-وقال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله (ت ٤٤٩ هـ):

(لأنه ﷻ منزّهٌ أن تكون صفاته مثل صفات الخلق كما كان منزّهًا أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق)[١٠٠].

٥-وقال الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله (ت ٤٦٣ هـ):

(والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات)[١٠١].

---

[٩٧] رسالة إلى أهل الثغر ص ٦٥.
[٩٨] الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ص ٣٦٣.
[٩٩] رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٢٧.
[١٠٠] عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٦.

٦-وقال الإمام البغوي رحمه الله (ت ٥١٦ هـ):

(البارئ سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذات ذوات الخلق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾)[١٠٢].

٧-قوام السنة الإمام أبو القاسم إسماعيل التيمي رحمه الله (ت ٥٣٥ هـ):

(هذا لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا كيفية فكذلك إثبات الصفات .... وعلى هذا مضى السلف كلهم)[١٠٣].

٨-شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ):

وكلامه عن هذه القاعدة كثير ومنثور في عديد من كتبه أنقل منه ثلاثة نقول لاختلاف ألفاظها:

أ- (جحود صفاته مستلزم لجحود ذاته)[١٠٤].

ج- (القول في بعض الصفات كالقول في بعض)[١٠٥].

د- (القول في الصفات كالقول في الذات فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله)[١٠٦].

النوع الثاني: من طبقها ولم ينص عليها تنصيصًا:

والذي سأذكره هنا من نقول سأختصره وأقصره على تطبيقات السلف الصالح لهذه القاعدة:

١-قال حماد بن زيد رحمه الله (ت ١٧٩ هـ):

(إنما يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء إله -يعني: الجهمية-)[١٠٧].

---

[١٠١] جواب الخطيب ص ٦٤ وانظر أيضًا: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٨٤.

[١٠٢] شرح السنة ١٧٠/١.

[١٠٣] الحجة في بيان المحجة ١٨٩/١.

[١٠٤] مجموع الفتاوى ٣٥١/١٢ وذلك أن من عدمت صفاته عدمت ذاته فالمعدوم هو الذي لا صفات له وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى ١٩٧/٥-١٩٨.

[١٠٥] التدمرية ص ٣١-٣٢.

[١٠٦] التدمرية ص ٤٣.

بين رحمه الله أن غاية ما يؤول إليه كلام الجهمية من نفيهم للصفات جحد الله عز وجل وأنه ليس في السماء إله.

٢-قال سليمان بن حرب رحمه الله (ت ٢٢٤ هـ):

(القرآن ليس مخلوق) فقيل له: إنك كنت لا تقول هذا فما بدا لك؟ فقال: (استخرجته من كتاب الله عز وجل ، قول الله (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ) والكلام والنظر واحد)[١٠٨].

وهذا الأثر فيه تقرير قاعدة: (القول في بعض الصفات كالقول في الآخر) ومثله رقم ٣ و ٥ و٦

٣-قال الإمام يحيى بن معين رحمه الله (ت ٢٣٣ هـ):

(إذا قال لك الجهمي : كيف ينزل؟ فقل: كيف صعد؟)[١٠٩].

٤-قال الإمام عبدالعزيز الكناني رحمه الله (ت ٢٤٠ هـ):

(فقلت له -أي: المريسي - قال الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) أفتقول إن نفس رب العالمين داخلة في هذه النفوس؟! فصاح المأمون بأعلى صوته — وكان جهير الصوت - معاذ الله معاذ الله معاذ الله فقلت: إذن ، ورفعت صوتي : معاذ الله معاذ الله أن يكون كلام الله داخلًا في الأشياء المخلوقة كما أن نفسه ليست بداخلة في الأنفس الميتة وكلامه خارج عن الأشياء المخلوقة كما أن نفسه خارجة عن الأنفس الميتة)[١١٠].

٥-قال الإمام أحمد رحمه الله (ت ٢٤١ هـ):

---

[١٠٧] رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة رقم ٤١ وهو أثر صحيح وانظر تصحيح شيخ الإسلام له في مجموع الفتاوى ١٨٣/٥.
[١٠٨] رواه عبدالله في السنة ١٦١/١ ومن طريقه الخلال في السنة ١٣/٦ وهو أثر صحيح.
[١٠٩] أخرجه ابن بطة في الإبانة ٢٠٦/٣ وسنده صحيح.
[١١٠] الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن له ص ٥٤.

(قال لهم – يعني : المعتصم –: كلموه . فقال لي عبدالرحمن: ما تقول في القرآن ؟ فقلت : ما تقول في علم الله؟ فسكت)[١١١].

٦–وعن أحمد بن سعيد بن إبراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول: حضرتُ مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضرَ إسحاق بن إبراهيم – يعني: ابن راهويه (ت ٢٥٦ هـ) – فسُئِلَ عن حديث النزول: أصحيحٌ هو؟ قالَ: "نعم". فقال له بعض قوَّاد عبد الله: يا أبا يعقوب! أتزعمُ أنَّ الله تعالى ينزلُ كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف ينزلُ؟ فقال له إسحاق: "أَثْبِتْهُ فوق حتى أَصِفَ لك النّزول"، فقالَ الرّجل: أثبتُّه فوق، فقال إسحاق: "قال الله – عزَّ وجل –: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) فقال الأمير عبد الله: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة. فقال إسحاق: أعزَّ الله الأمير، ومن يجيءُ يوم القيامة من يمنعْه اليوم؟!)[١١٢].

٧–قال الإمام ابن عبدالبر المالكي رحمه الله (ت ٤٦٣ هـ):

(والقول في كيفية النزول كالقول في سائر كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة)[١١٣].

إذن هذه القاعدة مجمع عليها كما تقدم من آثار وكما تقدم أيضًا حكاية إجماع السلف على ذلك.

ثم هي أيضًا يقر بها العقل:

قال ابن خزيمة رحمه الله (ت ٣١١ هـ): (عز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون لأن ما لا صفة له عدم تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا التي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه مُحَمَّد ﷺ)[١١٤].

---

[١١١] رواه ابن بطة في الإبانة بإسناد صحيح ٢٤٩/٢ وانظر تقريره لقاعدة القول في الصفات كالقول في الذات في كتابه الرد على الجهمية ص ٢٠٧-٢١١.

[١١٢] رواه قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١٢٩/٢ وصححه الألباني في مختصر العلو ص ١٩٣.

[١١٣] التمهيد ١٤٣/٧.

[١١٤] كتاب التوحيد له ٣٢/١.

وقال ابن تيمية رحمه الله: (من لا تقوم به صفة عدم محض إذ ذات لا صفة لها إنما يمكن تقديرها في الذهن لا في الخارج كتقدير وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص)[١١٥].

وإليك هذا التطبيق الكامل لهذه القاعدة[١١٦] لكي تفهم مرادنا أكثر من التنظير:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات.

فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟

قيل له – كما قال ربيعة ومالك وغيرهما –: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة.

لأنه سؤال عمّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا؟

قيل له: كيف هو؟

فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له. فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه ونزوله واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته!

---

[١١٥] مجموع الفتاوى ٥١٦/١٢.
[١١٦] القاعدة الأولى: القول في الصفات كالقول في الذات.

وإذا كنت تقرّ بأن له ذاتا حقيقة، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره، وكلامه نزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لايشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم، وكلامهم ونزولهم واستواؤهم.

وهذا الكلام لازم لهم في العقليات وفي تأويل السمعيات)[١١٧].

وإليك تطبيقًا عمليًا للقاعدة الثانية[١١٨]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (القول في بعض الصفات كالقول في بعض . فإن كان المخاطب ممن يقرّ بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة. ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات. قيل له: لا فرق بين ما نفيتَه وبين ما أثبتَّه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به. قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به. وإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام. قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قلت: هذه إرادة المخلوق. قيل لك: وهذا غضب المخلوق. وكذلك يُلْزَم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفى عن الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين)[١١٩].

الوجه الخامس : إثباتنا للصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية:

---

[١١٧] التدمرية ٤٣-٤٥.
[١١٨] وهي : القول في بعض الصفات كالقول في الآخر.
[١١٩] التدمرية ٣١-٣٢.

وقد تقدم قول الخطابي: (فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف)[١٢٠].

وقول قوام السنة الذي حكى فيه إجماع السلف على ذلك: (هذا لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا كيفية فكذلك إثبات الصفات .... وعلى هذا مضى السلف كلهم)[١٢١].

الوجه السادس : أن من قرر هذا التقرير متناقض :

فتجد هؤلاء المقررين لهذه الشبهة يثبتون لله ﷻ صفاتًا: كالحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة ، فما لهم أثبتوها وفي مخلوقات الله من اتصف بها أليس هذا تشبيهًا على قاعدتكم؟! فيقولون لك: هذه نثبتها لله على وجه يليق به فكذلك نقول نحن في باقي الصفات: أثبتوها (لتعملوا بنصوص الصفات) إثباتًا يليق بالله تبارك وتعالى (لتعملوا بنصوص التنزيه).

فالمسألة سهلة للغاية وإعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما.

الوجه السابع : المشبهة حقيقة هم من أوّل صفات الله أو فوضها:

فوا عجبًا كيف يدّعي الفضل ناقصٌ

ووا أسفًا كم يظهر النقص فاضلُ

تُعدُ ذنوبي عند قومٍ كثيرةً

ولا ذنب لي إلا العُلا والفواضِل

فأنتم أيها المعطلة شبهتم الله بناقص مرتين ، وبيان ذلك كالتالي:

---

[١٢٠] الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ص ٣٦٣.
[١٢١] الحجة في بيان المحجة ١٨٩/١.

أنكم ما عطلتم صفات الله أو بعضها إلا بعد أن طرأ على أذهانكم مشابهتها لصفات المخلوقين فلم يفهموا من علم الله إلا علم المخلوقين ولم يفهموا من يد الله إلا يد المخلوقين ولم يفهموا من وجه الله وقدمه وساقه إلا وجه المخلوقين وأقدامهم وسيقانهم فطرأ التمثيل والتشبيه لأذهانهم أولًا.

قال ابن القيم رحمه الله :(ولهذا قال بعض أهل العلم: إن كل معطل مشبه ولا يستقيم له التعطيل إلا بعد التشبيه)[١٢٢].

ثم إنهم بعد ذلك عطلوا هذه الصفات عن الله تبارك وتعالى فهم على قسمين:

القسم الأول : من عطل صفات الله كلها (كالجهمية والمعتزلة) فهذا وقع في تشبيه الله قبل تعطيله وبعده بأن شبه الله بعد تعطيله لجميع صفاته بالمعدومات وهذا من أعظم النقص وأحقر التشبيه.

قال الإمام البخاري رحمه الله:

(قال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق وقالت الجهمية : وكذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه)[١٢٣].

قال الإمام ابن بطة رحمه الله:

(والجهمي الخبيث ينفي الصفات عن الله، ويزعم أنه يريد بذلك أن ينفي عن الله التشبيه بخلقه، والجهمي الذي يشبه الله بخلقه لأنه يزعم أن الله عز وجل كان ولا علم، وكان ولا قدرة، وكان ولا عزة، وكان ولا سلطان، وكان ولا اسم حتى خلق لنفسه اسماً، وهذه كلها صفات المخلوقين، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، لأن المخلوقين من بني آدم، كان ولا علم،

[١٢٢] الصواعق المرسلة ١٠١٩/٣-١٠٢٠.
[١٢٣] خلق أفعال العباد ٤٣.

خلقه الله جاهلاً ثم علمه. قال الله عز وجل(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) وكان ولا كلام حتى يطلق الله لسانه، وكان ولا قدرة ولا عزة ولا سلطان حتى يقويه الله ويعزه ويسلطه، وهذه كلها صفات المخلوقين. وكل من حدثت صفاته، فمحدث ذاته، ومن حدث ذاته وصفته، فإلى فناء حياته، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)[١٢٤].

القسم الثاني: من عطل بعض صفات الله (كالأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم) فهؤلاء وقعوا في التشبيه أولًا ثم عطلوا ثم وقعوا في التشبيه مرة أخرى بأن شبهوا الله بالناقصين من خلقه فمن نفى اليد عن الله شبهه بمن خلقه الله بلا يد ومن نفى عن الله الكلام شبهه بمن خلقه الله أبكمًا وكذلك في باقي الصفات التي نفوها.

قال الإمام الدارمي رحمه الله:

(وَكَيْفَ اسْتَجَزْتَ أَنْ تُسَمِّيَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَأَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِصِفَاتِ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ: مُشَبِّهَةً، إِذْ وَصَفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي أَسْمَاؤُهَا مَوْجُودَةٌ فِي صِفَاتِ بني آدم تَكْيِيفٍ، وَأَنْتَ قَدْ شَبَّهْتَ إِلَهَكَ فِي يَدَيْهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ بِأَعْمَى وَأَقْطَعَ، وَتَوَهَّمْتَ فِي مَعْبُودِكَ مَا تَوَهَّمْتَ فِي الْأَعْمَى وَالْأَقْطَعِ فَمَعْبُودُكَ مجدع مَنْقُوص أَعْمَى لَا بَصَرَ لَهُ، وَأَبْكَمُ لَا كَلَامَ لَهُ، وَأَصَمُّ لَا سَمْعَ لَهُ، وَأَجْذَم لَا يَدَانِ لَهُ، وَمُقْعَدٌ لَا حِرَاكَ بِهِ، وَلَيْسَ هَذَا بِصِفَةِ إِلَهِ الْمُصَلِّينَ؟ فَأَنْتَ أَوْحَشُ مَذْهَبًا فِي تَشْبِيهِكَ إِلَهَكَ بِهَؤُلَاءِ الْعِمْيَانِ وَالْمَقْطُوعِينَ، أَمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ مُشَبِّهَةً أَنْ وَصَفُوهُ٤ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِلَا تَشْبِيهٍ؟ فلولا أَنَّهَا كَلِمَةٌ هِيَ مِحْنَةُ الْجَهْمِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَنْبِزُونَ الْمُؤْمِنِينَ مَا سَمَّيْنَا مُشَبِّهًا غَيْرَكَ لِسَمَاجَةِ مَا شَبَّهْتَ وَمَثَّلْتَ. وَيْلَكَ! إِنَّمَا نَصِفُهُ بالأسماء لَا بالتكيف وَلَا بِالتَّشْبِيهِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُ مَلِكٌ كَرِيمٌ، عَلِيمٌ، حَكِيمٌ، حَلِيمٌ، رَحِيمٌ لَطِيفٌ، مُؤْمِنٌ، عَزِيزٌ، جَبَّارٌ، مُتَكَبِّرٌ.

[١٢٤] الإبانة ٢/ ١٨٢.

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُدْعَى الْبَشَرُ بِبَعْضِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ مُخَالِفَةً لِصِفَاتِهِمْ، فَالْأَسْمَاءُ فِيهَا مُتَّفِقَةٌ، وَالتَّشْبِيهُ وَالْكَيْفِيَّةُ مُفْتَرِقَةٌ: كَمَا يُقَالُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءَ، يَعْنِي فِي الشَّبَهِ وَالطَّعْمِ وَالذَّوْقِ، وَالْمَنْظَرِ، وَاللَّوْنِ. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَاللَّهُ أَبْعَدُ مِنَ الشَّبَهِ وَأَبْعَدُ. فَإِنْ كُنَّا مُشَبِّهَةً عِنْدَكَ أَنْ وَحَّدْنَا اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدًا بِصِفَاتٍ أَخَذْنَاهَا عَنْهُ وَعَنْ كِتَابِهِ فَوَصَفْنَاهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، فَاللَّهُ فِي دَعْوَاكُمْ أَوَّلُ الْمُشَبِّهِينَ بِنَفسِهِ ثمَّ رَسُول الله الَّذِي أَنْبَأَنَا ذَلِكَ عَنْهُ. فَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تُكَابِرُوا الْعِلْمَ، إِذْ جَهِلْتُمُوهُ فَإِنَّ التَّسْمِيَةَ مِنَ التَّشْبِيه بعيدَة)[١٢٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل.

أما المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أولاً، وعطلوا آخرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله)[١٢٦].

وختامًا لهذه المسألة أنقل لك قصة تائب وراجع من عقيدة المعطلة:

ألا وهو الإمام أحمد بن إبراهيم بن شيخ الحزاميين الواسطي (ت ٧١١ هـ) فقد قال في صدد بيان انشراح صدره للعقيدة السلفية ورجوعه عن عقيدة الجهمية:

(والذي شرح صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الأمر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو: علمي بأنهم ما فهموا من صفات الرب تعالى إلا ما

[١٢٥] نقضه على المريسي ١/٣٠٠-٣٠٣.
[١٢٦] الحموية ص ٢٦٧.

يليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواءً يليق به ولا نزولًا يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله به نفسه ...)[١٢٧].

[١٢٧] رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٨١/١.

المسألة الثانية: هل آيات الصفات من متشابه القرآن الكريم؟

قال (م . ر) في الصفحة الأولى والثانية:

(ومما لا يخفى على مثلك أن علماء الأمة منذ القدم اختلفوا في تفسير الآيات المتشابهات المتعلقة بصفات الله عز وجل فمنهم من أوّلها بما يليق بالذات العليّة تنزيهًا لله عن صفات المخلوقين.

ومنهم من حملها على ظاهرها وأضافوا إلى ذلك أحاديث آحادية وبعضها فيها مقال عند علماء الحديث وتوغلوا في البحث عن ذلك حتى وصل بهم الأمر إلى تشبيه الخالق بصفات المخلوقين فأثبتوا له الطلوع والنزول والتنقل من مكان إلى مكان والحلول والجلوس وأثبتوا له عينًا ورجلًا ويدًا وقدمًا وساقًا وربما دخلت في مؤلفاتهم روايات إسرائيلية فوقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

ولقد حذرنا الله من ذلك فقال في وصف كتابه : (مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ا.هـ.

سمى صاحب الرسالة الآيات المتعلقة بالصفات آيات متشابهة وهنا أقدم بمقدمة تبين المقصود من الآيات المحكمة والمتشابهة فأقول مستعينًا بالله سبحانه وتعالى:

أولًا: القرآن فيه آيات محكمة وآيات متشابهة بنص الآية السابقة وبنص السنة على ذلك ولإجماع المسلمين ولست بصدد تقرير ذلك فإنه متفق عليه بيننا.

ثانيًا: تعريف المحكم والمتشابه:

~ فأما المحكم لغة فهو : مأخوذ من حَكَم وله معنيان:

الأول: المنع ، والثاني: الإتقان

وهما متداخلان ويعضد كل منهما الآخر.

يقال: حكمَة الدابة أي: لجامها لأنه يمنعها عن ركوب رأسها وفعل ما تريد ويقال للحاكم : حاكم لمنعه الظالم عن ظلمه.

ومنه قول جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم

إني أخاف عليكم أن أغضبا

أي: امنعوا سفهاءكم من سفههم.

وإنما سميت الحكمة حكمةً لمنعها النفس عن هواها.

ومن أمثلة المعنى الثاني الذي هو الإتقان :

قولهم: أحكم الشيء أي: أتقنه[١٢٨].

~ وأما التشابه لغةً فهو: مأخوذ من الشِّبه والشَّبه : وهو أن يشبه أحد الأمرين الآخر حتى يلتبسا والشبهة الالتباس[١٢٩].

قال ابن قتيبة رحمه الله:

(وأصل (التّشابه): أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر، والمعنيان مختلفان. قال الله جل وعز في وصف ثمر الجنة: (وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً) ، أي متّفق المناظر، مختلف الطّعوم. وقال: (تَشابَهَتْ

[١٢٨] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩١/٢ والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٢٦-١٢٨ لسان العرب لابن منظور ١٤٠/١٢-١٤٢ والصحاح للجوهري ١٩٠١/٥.

[١٢٩] المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٥٤ والصحاح للجوهري ٢٢٣٦/٦ ولسان العرب لابن منظور ٥٠٣/١٣.

قُلُوبُهُمْ) أي يشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة. ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرّق بينهما)[١٣٠].

~ الإحكام والتشابه في القرآن الكريم:

الإحكام والتشابه في القرآن على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إحكام عام وهو:

الوارد في قوله تعالى: (الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) وقوله تعالى: (الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)

ومعناه ما ذكره إمام المفسرين : ابن جرير الطبري رحمه الله (ت ٣١٠ هـ): (أَحْكَمَ اللَّهُ آيَاتَهُ مِنَ الدَّخْلِ، وَالْخَلَلِ وَالْبَاطِلِ، ثُمَّ فَصَّلَهَا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. وَذَلِكَ أَنَّ إِحْكَامَ الشَّيْءِ إِصْلَاحُهُ وَإِتْقَانُهُ، وَإِحْكَامَ آيَاتِ الْقُرْآنِ إِحْكَامُهَا مِنْ خَلَلٍ يَكُونُ فِيهَا أَوْ بَاطِلٍ يَقْدِرُ ذُو زَيْغٍ أَنْ يَطْعَنَ فِيهَا مَنْ قَبْلَهُ)[١٣١].

فالإحكام العام هو: أن تكون ألفاظه ومعانيه متقنة وأن المعاني المرادة بألفاظها ظاهرة بينة لا خلل فيها ولا اختلاف ولا يتطرق إليه النقص بأي وجه من الوجوه[١٣٢].

النوع الثاني: تشابه عام وهو:

الوارد في قوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ).

قال الطبري رحمه الله: (يشبه بعضه بعضا، لا اختلاف فيه، ولا تضادّ.

---

[١٣٠] تأويل مشكل القرآن ص ٦٨ .
[١٣١] جامع البيان ٣١٠/١٢.
[١٣٢] التدمرية ص ١٠٢-١٠٣ والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٦٨/٢ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٢ وفتح القدير للشوكاني ٣١٧/١.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

حدثنا محمَّد قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ(كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال: المتشابه: يشبه بعضه بعضا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: (كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال: يشبه بعضه بعضا، ويصدّق بعضه بعضا، ويدلّ بعضه على بعض)[١٣٣].

فلو لم يكن متشابهًا لكان مختلفًا يكذب بعضه بعضًا وهذا منفي عن القرآن لأن الله يقول: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا).

فالتشابه العام معناه: أن آيات القرآن الكريم يشبه بعضها بعضًا في الإتقان والحسن والبلاغة والكمال والصحة والفصاحة ويصدق بعضها بعضًا[١٣٤].

فيكون القرآن بهذا المعنى كله متشابهًا.

النوع الثالث: إحكام خاص وتشابه خاص وهما:

الواردان في آية آل عمران (مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ).

فالآيات المحكمة هنا تدخل في التشابه العام لأن القرآن يشبه بعضه بعضًا.

والآيات المتشابهة هنا تدخل في الإحكام العام لأن كل نصوص القرآن وردت واضحة المعاني بلسان عربي مبين.

---

[١٣٣] جامع البيان ٢٧٩/٢١.

[١٣٤] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٣/٧ والإتقان للسيوطي ٢/٢ وفتح القدير للشوكاني ٣١٧/١ وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي ٤٩.

والدليل على هذين الأمرين: ما تقدم ذكره من الآيات التي تدل على الإحكام العام كقوله:(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) فإنها تعم جميع آيات القرآن حتى الآيات التي تعتبر مُشتبهة تشابهًا خاصًا لدخولها في عموم الآية وهذا يعرفه كل عربي.

وأيضًا يدل عموم الآية الواردة في التشابه العام :(كِتَابًا مُّتَشَابِهًا) على أن المحكم إحكامًا خاصًا في القرآن كله يعتبر متشابهًا تشابهًا عاما بدلالة عموم الآية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ووصفه بأنه جعله عربيًّا ليعقلوه ووصفه بأنه بصائر وبيان وهدى للناس ونحو ذلك مما تقدم ذكره وهذا يعم جميع القرآن فعلم أن الآيات التي قيل فيها (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) هي أيضاً محكمات مبينات وهي بيان وهدى وبصائر لكن اختصت بتشابه لم يكن في المحكمات وكذلك اختصت المحكمات بإحكام آخر غير الأحكام المشتركة)[١٣٥].

إذا علمت هذا فاعلم أن معنى الإحكام الخاص والتشابه الخاص هو:

ما ذكره شيخ الإسلام إذ يقول رحمه الله : (فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك، والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر. وهذا التشابه إنما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.

ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما، فيكون مشتبهًا عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا يتميز معه قد يكون من الأمور النِّسبيّة الإضافية، بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه، كما إذا

[١٣٥] بيان تلبيس الجهمية ٣٥٦/٨.

اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله[١٣٦]، فعلم العلماء أنه ليس هو مثله، وإن كان مشبها له من بعض الوجوه)[١٣٧].

فآيات الصفات من قبيل المشتبه الخاص: وهو معلوم لنا باعتبار معناه في أصل اللغة العربية وخفي علينا كيفيته فيكون مشتبهًا علينا.

فمثلًا نزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها نفهم منه بلساننا العربي ما هو ظاهره لكن يخفى علينا وقته فهو من هذه الجهة يعتبر مشتبهًا.

فآيات الصفات من هذا النوع من التشابه ومما يفيد ذلك:

قصة مالك بن أنس المتقدم ذكرها ، فإنه لما سئل عن الاستواء كيف هو؟

قال : (الاستواء معلوم – أي : في لساننا العربي فنحن نفهمه لكن – والكيف مجهول – فهو من حيث الكيفية مشتبه علينا – والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة – لأن السلف من الصحابة والتابعين لم يسألوا عنه –).

قال القرطبي المالكي رحمه الله: (قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة)[١٣٨].

وقد ذهب بعض أهل العلم : إلى أن التشابه الخاص تشابه نسبي فقد يعلم معناه بعض العلماء ويخفى على غيرهم من العوام مثل بعض آيات الأحكام تُشكل على العامة لكن العلماء يفهمونها.

---

[١٣٦] كما ورد في صفة الجنة وصفة النار فإن هذا معلوم لنا باعتبار كوننا عربًا نعرف معنى النار والجنة ونعرف معنى الزعفران والطير وقد ورد أنه في الجنة لكن مع ذلك يشتبه علينا معرفة كيفيته في الجنة وكذلك نعرف معنى السلاسل بلغتنا العربية ولكن لا نعرف كيفيتها وهيئتها في النار فيكون من حيث أصل المعنى العربي عندنا معروفًا ومن حيث الكيفية مشتبهًا هذا قصد ابن تيمية.

[١٣٧] التدمرية ص ١٠٥.

[١٣٨] تفسير القرطبي ٢١٩/٧.

واحتجوا على معنى التشابه الخاص : بحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الحلال بيّنٌ وإن الحرام بيّنٌ وبينهما أمور مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس)[١٣٩] لكن هناك من يعلمهن بمفهوم الحديث.

فعليه ليس هناك آية تكون مشتبهة على كل الناس على هذا القول بل لا بد أن يعلمها بعض العلماء أو كلهم[١٤٠].

فعليه تكون صفات الله من حيث معناها محكم (الإحكام العام) لأنها مفهومة لكل عربي ، بينما من حيث كيفيتها فهي متشابهة لأن كيفتها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

والتأويل الذي اختص الله به في الآية هو علم هذه الكيفيات لأنه لا يعلم بها أحد غيره بنص الآية ولنصوص أخرى كقوله تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) وقوله : (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ).

قال ابن كثير رحمه الله:

(أَيْ: لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطَّلِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً))[١٤١].

والقول بأن آيات الصفات معلومة باعتبار معناها العربي ومجهولة لنا باعتبار كيفياتها (معلومة من وجه مشتبهة من وجه آخر) قول متقرر عند أهل السنة والجماعة:

وأدلته كثيرة منها ما يلي:

---

[١٣٩] رواه مسلم ١٥٩٩.
[١٤٠] مجموع الفتاوى ٤٠٠/١٧ والموافقات للشاطبي ٩٣/٣.
[١٤١] تفسيره ٦٨٣/١.

الدليل الأول: أن الله تبارك وتعالى قال: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ).

وجه الدلالة: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فحض على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئا؛ بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) وقوله: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفه ما لم يتدبر لما تدبر)[١٤٢].

فالله ﷻ لما حضنا على تدبر القرآن دل ذلك على أن معاني القرآن كلها معلومة مفهومة لأن التدبر والتعقّل لا يكون إلا لما يمكن فهم معناه ويدخل في ذلك آيات الأسماء والصفات لأنها من القرآن.

الدليل الثاني: قوله تبارك وتعالى : (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) وقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

ووجه الدلالة: ما ذكره إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين، قرآنًا عربيًّا على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربي ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه وذلك قوله: (لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))[١٤٣].

قال القشيري الأشعري رادًا على المفوضة: (أليس الله يقول: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) فإذن على زعمهم يجب أن يقولوا : كذَبَ حيث قال: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) إذ لم يكن معلومًا عندهم وإلا فأين هذا البيان؟ وإذا كان بلغة العرب فكيف يدّعي أنه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشيء عربيًا؟! فما في قول مقالٍ مآله تكذيب الله سبحانه وتعالى ثم كان النبي صلى

[١٤٢] الإكليل في المتشابه والتأويل ص ٤٥-٤٦.
[١٤٣] جامع البيان ١٨٦/٧.

الله عليه وسلم يدعو الناس إلى عبادة الله ، فلو كان في كلامه وفيما يلقيه لأمته شيءٌ لا يعلم تأويله إلا الله لكان للقوم أن يقولوا: بيّن لنا أولًا ما تدعونا إليه وما الذي تقول فإن الإيمان بما لا يعلم أصله غير مُتَأتٍ ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل أمرٌ عظيم لا يتخيله مسلم فإن الجهل بالصفات يؤدي إلى الجهل بالموصوف)[١٤٤].

ومن كتاب الله آيات الأسماء والصفات فهي مفهومة عربية ومن زعم أنها من المتشابهات في معناها فقد ناقض هذ الدليل عياذًا بالله.

الدليل الثالث : أن هذا هو الذي فهمه السلف من نصوص الصفات فمن قال بأن الآيات هذه من المتشابهات فلازم كلامه أن السلف إما كذبة لأنهم فسروا النصوص بما لا يعلم تفسيره إلا الله أو أنهم فعلوا ذلك جهلًا وهذا كله يناقض قوله ﷺ : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فإنكم يا أصحاب هذه المقولة لازم الأمر أن تكون خيرًا منهم وأعلم منهم بهذه المسألة وهذا ينفي عنهم الخيرية المطلقة الثابتة بالحديث المتقدم.

وإليكم آثارًا عنهم فيها إثبات المعنى اللغوي العربي لنصوص الصفات:

- عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيرِه) قال: قلت : يا رسول الله أو يضحك الرب؟ قال: (نعم) قلت: لن نُعدم من ربٍ يضحك خيرًا[١٤٥].

ولو كان الضحك أمرًا غير معلوم عند هذا الصحابي لما استنتج منه هذه النتيجة الطيبة إذ لو لم يكن يعلم معناه لم يكن ليتكلم فيه بغير علم.

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه سُئل أبلغك أن الله عز وجل يعجب ممن ذكره؟ فقال رضي الله عنه: (لا ، بل يضحك)[١٤٦].

---

[١٤٤] إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١١٠/٢.
[١٤٥] رواه أحمد ١١/٤ وابن ماجه ١٨١ والطيالسي ص ١٤٧ وغيرهم وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٨١٠.

وهذا رد على المؤلة والمفوضة ولو كانت من المشتبهات في معناها لما قال ابن مسعود ذلك وحاشاه أن يتكلم بما لا يعرف معناه المتبادر من لغة العرب مع نفي التشبيه وهذا يدل أن لكل منها معنى يفهمه يختلف عن الآخر أو لكان معنى يعجب ويضحك عنده لافرق بينها كما تقول مفوضة المعاني.

- وعن ابن مسعود ﷺ أيضًا قوله: (ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه)[١٤٧].

وهذا واضح لكل من يتكلم باللسان العربي فما لكم لا تعقلون؟!! وهذا القول من ابن مسعود ﷺ تفسير لمعنى الاستواء الوارد في الآية فإنه فسره كما هو حال كل عربي بمعنى الفوقية إذ قال: (فوق العرش) لا الاستيلاء كما تدعون.

وهذا الأثر أيضًا يبطل تأويلكم للعرش بأنه الملك حيث بيّن أن العرش فوق الماء فهل يكون ملك الله فوق الماء لا يصح هذا التأويل ألبتة.

- وعن ابن مسعود أيضًا في قوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) : (يعني ساقه تبارك وتعالى)[١٤٨].
- عن أنس بن مالك ﷺ قال: (فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات)[١٤٩].

---

[١٤٦] رواه الدارمي ١١١/٣ عن القافلائي عن محمد بن إسحاق الصاغاني عن داود بن رشيد عن أبي معاوية عن محمد بن أبي إسماعيل عن عبدالله بن أبي الهذيل عن ابن مسعود به ورجاله رجال ثقات والأثر صحيح.

[١٤٧] رواه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٥٥ وابن خزيمة في التوحيد ٨٥٥/٣ والطبراني في الكبير ٢٠٢/٩ وابن بطة في الإبانة ١٧/٣ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٩٠/٢ برقم ٨٥١ وأورده الذهبي في العلو وصححه ص ٧٩ وصححه الألباني في مختصر العلو ص ٧٥.

[١٤٨] رواه عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره ٣١٠/٢ عن الثوري عن سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي عن أبي صادق عن ابن مسعود به وهذا أثر صحيح وله طرق أخرى صحيح منها ما رواه ابن منده في الرد على الجهمية برقم ٤.

[١٤٩] رواه البخاري برقم ٧٤٢٠.

وهذا لا يقبل تأويلًا أبدًا فأبلد عربي وأجهل عربي يعرف معنى من فوق سبع سماوات أنها تفيد العلو فكيف بكم أنتم يا من تدعون العلم والعقل وأنتم عن أسهل الأمور البديهية تضِّلون؟!

ولو كان معاني نصوص العلو غير معلومة لما قالت زينب ﵂ بذلك لأنها أورع من أن تتكلم على الله بغير علم وحاشاها وحاشاها وحاشاها ﵂ وأرضاها.

- وتقدم قول عائشة ﵂: (تبارك الذي وسع سمعه كل شيء)[١٥٠].

لاحظ أن قولها يدل على أن السمع أمر معلوم مفهوم في لغة العرب.

- عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كنت جارًا لخباب – أي : ابن الأرت ﵁ – ، فخرجت يومًا من المسجد وهو آخذ بيدي فقال: يا هناه تقرّب إلى الله عز وجل ما استطعت فإنك لن تقرّب إليه بشيء أحب إليه من كلامه)[١٥١].

فأثبت لله سبحانه صفة الحب ولو كان لا يعلم لها معنى لما وصف الله بها ولما قالها لأن هذا من القول على الله بغير علم وحاشاهم رضوان الله عليهم من ذلك.

- قال التابعي الجليل أبو العالية رُفيع بن مهران الرياحي رحمه الله (ت ٩٣ هـ):

(استوى إلى السماء: ارتفع ، فسواهن: خلقهن)[١٥٢].

- قال التابعي الجليل مجاهد بن جبر رحمه الله (ت ١٠٤ هـ):

(استوى : علا على العرش)[١٥٣].

- وعنه رحمه الله أيضًا أنه قال في تفسير قوله تعالى : (اللَّهُ الصَّمَدُ) :

(الصمد: المصْمَتُ الذي لا جوف له)[١٥٤].

---

[١٥٠] علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم في كتاب التوحيد وأخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح ٢٠٦٣.
[١٥١] رواه أحمد في الزهد بإسناد صحيح ص ٤٦ وصححه البيهقي في الأسماء والصفات ٥١٤.
[١٥٢] علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء وعزاه ابن حجر في تغليق التعليق ٣٤٤/٥ إلى ابن جرير في تفسيره ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم ٣٠٨ وهو أثر صحيح.
[١٥٣] علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم وعزاه ابن حجر في تغليق التعليق ٣٤٥/٥ إلى الفريابي أنه رواه عن ابن أبي نجيح به.

فتجد مجاهدًا رحمه الله في مهد وموطن الفصاحة والبيان العربي يفسر اسم الله الصمد بمعناه العربي فكيف لا يكون يعلم معناه؟! فسره في العربية ولم يفسره في الكيفية فتنبّه!

- وعن الربيع بن أنس الخراساني رحمه الله (ت ١٣٩ هـ):

(ثم استوى إلى السماء يقول: ارتفع إلى السماء)[١٥٥].

- قال الأوزاعي رحمه الله (ت ١٥٧ هـ):

(كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)[١٥٦].

- ولا ننسى أثر مالك بن أنس وقد تقدم .

وعلق عليه القرطبي قائلًا: (قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة)[١٥٧].

وقال أبو بكر ابن العربي المالكي رحمه الله: (ومذهب مالكٍ أن كل حديثٍ منها معلوم المعنى ولذلك قال للذي سأله: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة)[١٥٨].

- قال الفضيل بن عياض رحمه الله (ت ١٨١ هـ):

(فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه وكل هذا النزول والضحك والمباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يضحك فليس لنا أن نتوهم أنْ كيف وكيف وإذا قال لك الجهمي : أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء)[١٥٩].

- قال الإمام الشافعي رحمه الله (ت ٢٠٤ هـ):

---

[١٥٤] رواه ابن جرير في جامع البيان ٦٩٠/٢٤ وابن أبي عاصم في السنة برقم ٦٧٣ وإسناده صحيح وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم ٦٧٣.

[١٥٥] رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٤٢٩/١ وابن أبي حاتم في تفسيره برقم ١٠٢١١.

[١٥٦] رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٣٠٤/٢ وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٦٩ وجوّده ابن حجر في الفتح ٤٠٦/١٣ .

[١٥٧] تفسير القرطبي ٢١٩/٧.

[١٥٨] عارضة الأحوذي له ١٣٤/٣.

[١٥٩] رواه الأثرم في السنة ومن طريقه ابن بطة في الإبانة ٢٠٥/٣ وإسناده صحيح وروى اللالكائي الجملة الأخيرة منه برقم ٧٧٦.

(فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أقرّت بأن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية)[١٦٠].

قال الصابوني رحمه الله معلقًا على هذا الكلام:

(وإنما احتج الشافعي رحمة الله عليه على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه وفوق سبع سماواته على عرشه كما هو معتقد جميع المسلمين من أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم)[١٦١].

- وقال الشافعي أيضًا رحمه الله:

(الْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ كَمَا وَصَفْتُ، وَالْأَحْكَامُ فِيهِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَعُمُومِهَا، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحِيلَ مِنْهَا ظَاهِرًا إِلَى بَاطِنٍ، وَلَا عَامًّا إِلَى خَاصٍّ إِلَّا بِدَلَالَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَاصٌّ دُونَ عَامٍّ أَوْ بَاطِنٌ دُونَ ظَاهِرٍ، أَوْ إِجْمَاعٌ مِنْ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا يَجْهَلُونَ كُلُّهُمْ كِتَابًا وَلَا سُنَّةً، وَهَكَذَا السُّنَّةُ، وَلَوْ جَازَ فِي الْحَدِيثِ أَنْ يُحَالَ الشَّيْءُ مِنْهُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنًى بَاطِنٍ يَحْتَمِلُهُ كَانَ أَكْثَرُ الْحَدِيثِ يَحْتَمِلُ عَدَدًا مِنَ الْمَعَانِي وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ ذَهَبَ إِلَى مَعْنًى مِنْهَا حُجَّةٌ عَلَى أَحَدٍ ذَهَبَ إِلَى مَعْنًى غَيْرِهِ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ فِيهَا وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَعُمُومِهَا إِلَّا بِدَلَالَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ قَوْلِ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَنَّهَا عَلَى خَاصٍّ دُونَ عَامٍّ، وَبَاطِنٍ دُونَ ظَاهِرٍ، إِذَا كَانَتْ إِذَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ عَنْ ظَاهِرِهَا مُحْتَمِلَةً لِلدُّخُولِ فِي مَعْنَاهُ)[١٦٢].

- وعن يزيد بن هارون رحمه الله (ت ٢٠٦ هـ) أنه قال لما سئل من الجهمية؟:

[١٦٠] نقله الصابوني عنه من كتاب المبسوط للشافعي انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٨٨.
[١٦١] عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٨٨.
[١٦٢] اختلاف الحديث للشافعي ص ٥٩٢.

(من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي)[١٦٣].

قال الذهبي رحمه الله معلّقًا على هذا الكلام:

(يقر مخفف والعامة مُرَاده بهم جُمْهُور الْأمة وَأهل الْعلم وَالَّذِي وقر فِي قُلُوبهم من الْآيَة هُوَ مَا دلّ عَلَيْهِ الْخطاب مَعَ يقينهم بِأَن المستوي لَيْسَ كمثله شَيْء.

هَذَا الَّذِي وقر فِي فطرهم السليمة وأذهانهم الصَّحِيحَة وَلَو كَانَ لَهُ معنى وَرَاء ذَلِك لتفوهوا بِهِ وَلما أهملوه وَلَو تَأَول أحد مِنْهُم الاسْتوَاء لتوفرت الهمم على نَقله وَلَو نقل لاشتهر فَإِن كَانَ فِي بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاسْتوَاء مَا يُوجب نقصا أَو قِيَاسا للشَّاهِد على الْغَائِب وللمخلوق على الْخَالِق فَهَذَا نَادِر فَمن نطق بذلك زجر وَعلم وَمَا أَظن أَن أحدا من الْعَامَّة يقر فِي نَفسه ذَلِك وَالله أعلم)[١٦٤].

- قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلّام رحمه الله (ت ٢٢٤ هـ):

(في حديث النبي ﷺ حين سأله أبو رزين العقيلي : أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ فقال: (كان فى عماء، تحته هواء، وفوقه هواء) ... قوله: (في عماء) العماء فى كلام العرب: السَّحاب الأبيض.

قاله الأصمعي وغيره، وهو ممدود ... وإنَّما تأوَّلنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عندهم، ولا ندرى كيف كان ذلك العماء، وما مبلغه، والله أعلم بذلك)[١٦٥].

- ومن أصرح ما في الباب : ما نقله الصابوني عن الإمام أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله (ت ٣٧١ هـ):

---

[١٦٣] رواه أبو داود السجستاني صاحب السنن في مسائل الإمام أحمد رقم ١٧٣٣ وعبدالله بن أحمد في السنة برقم ٥٤ وابن بطة في الإبانة برقم ١٢٢ وأورده البخاري في خلق أفعال العباد ص ٣٦.

[١٦٤] العلو ص ١٥٧-١٥٨.

[١٦٥] غريب الحديث له ٢/٢٢٥ -٢٢٩.

(إن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ وقد قال تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ) وقال : (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف ، فلو شاء الله سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل ، فانتهينا إلى ما أحكمه ، وكفننا عن الذي يتشابه إ ذ كنا قد أمرنا به في قوله عز وجل : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))[١٦٦].

فجعل العلم بالكيفية هو المتشابه الذي ورد في الآية.

وأكتفي بما ذكرت لضيق الموضع ، وجمع الصحيح من آثارهم في الباب أكثر من أن يحصر في رسالة كهذه[١٦٧].

فعليه من قال بأن نصوص الصفات من المتشابهة الذي لا يعلم معناه في أعظم على الفرية واتهمهم بالكذب والتفوه بما لا علم لهم به – عَلِمَ أمَ جهِلَ – وهذا من أعظم الأدلة على قاعدتنا هذه : (نصوص الصفات معلومة المعنى مجهولة (مشتبهة) الكيفية).

الدليل الرابع : أن هذا القول الذي قلتموه يلزم منه وصف الكتاب البليغ الذي تحدى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثله بالإعجام والغرابة إذ أن أئمة الفصاحة والبيان الذين أنزل عليهم لم يفهموه فعليه لا يكون القرآن مُبِينًا كما أخبر الله عنه ، هذا لازم قولكم.

الدليل الخامس : من الممتنع شرعًا وعقلًا تكليف الناس بالإيمان[١٦٨] بما لا يعلمون معناه فإن الإيمان بالشيء لا يكون إلا بعد معرفته فكيف يؤمن الرجل بالله وهو لا يعرفه وكيف يؤمن

---

[١٦٦] عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٩٢.
[١٦٧] وإن أردت توسعًا في الباب فالكتب فيه عديدة من أجودها كتاب "مقالة التفويض بين السلف والمتكلمين" لمحمد بن محمود الخضير.
[١٦٨] فإن الله أمرنا بالإيمان بكتبه كما في حديث أصول الإيمان .

الرجل بالنبي ﷺ ولم يعرفه؟! فكذلك في بابنا هذا كيف نؤمن بنصوص الصفات ونحن لا نعلم معناها والمراد بها؟! هذا ضرب من ضروب الاستحالة ، أنؤمن بشيء لا نعلم معناه[١٦٩].

وتقدم قول القشيري: (فلو كان في كلامه – يعني: النبي ﷺ – وفيما يلقيه لأمته شيءٌ لا يعلم تأويله إلا الله لكان للقوم أن يقولوا: بيّن لنا أولًا ما تدعونا إليه وما الذي تقول فإن الإيمان بما لا يعلم أصله غير مُتَأتٍ ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل أمرٌ عظيم لا يتخيله مسلم فإن الجهل بالصفات يؤدي إلى الجهل بالموصوف)[١٧٠].

الدليل السادس : أنه لم ينقل عن السلف القول بقولكم هذا بل نقل عنهم خلافه وكل خيرٍ في اتباع من سلف وكل شرٍ في ابتداع من خلف.

الدليل السابع : أن الله تبارك وتعالى ذمّ من لم يفقه القرآن الكريم فقال عن الكفار: (فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) وقوله تعالى : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) .

قال الشوكاني في بيان أحد أوجه تفسير الأماني في الآية: (وقيل: الْأَمَانِيُّ: التِّلَاوَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِلَّا إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) أَيْ إِذَا تَلَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ، أَيْ لَا عِلْمَ لَهُمْ إِلَّا مُجَرَّدُ التِّلَاوَةِ مِنْ دُونِ تَفَهُّمٍ وَتَدَبُّرٍ)[١٧١].

فالقول بأن معانيها مجهولة يدخل الأمة الإسلامية جمعاء من لدن الصحابة وتابعيهم إلى يومنا وإلى يوم القيامة في هذه الآية النازلة في اليهود وهذا والله لمن أعظم الفرية على الله إذ بطريقتهم هذه أدخلوا خيرة خلقه الذين اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ في هذه الآية التي ذم بها اليهود ومعنى ذلك أن الله اصطفى لنبيه إخوة اليهود في فعلهم واصطفى لصحبة نبيه قومًا

---

[١٦٩] لاحظ لم أقل : لا نعلم كيفيته لأن آيات الصفات والجنة والنار والملائكة لا نعلم كيفيتها لكن نعلم معانيها.
[١٧٠] إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١١٠/٢.
[١٧١] فتح القدير ١٢٣/١.

جهلة لا يفقهون وهذا والله لمن اتهام الله سبحانه وتعالى بعدم الحكمة بل الجهل عافاني الله وإياكم من هذا القول ولوازمه.

فلو كان المؤمنون أيضًا لا يفقهونه لذمهم الله مع هؤلاء الكفار[١٧٢].

الدليل الثامن : أن نرد عليهم بمثل ما استدلوا به فنسألهم: أتعلمون ما هي الجنة وما هي النار وتعرفون معنى القصور والزعفران والخمر واللبن والعسل والنهر ومعنى السلاسل والشجر والعصارة والحميم والأغلال والكلاليب في لغتكم ؟ فكل عربي سيقول ولا بد : نعم.

فنقول له : أتعلم كيفيتها وهيئتها ؟ طبعًا سيقول: لا.

لأن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لم يخطر على قلبك أصلًا فكيف تعرف كيفيتها. فتكون عندك من حيث معناها اللغوي معلومة فتعلم أن الجنة موطن طيب تحبه النفوس وأن النار موطن سيء تبغضه النفوس وهكذا مما يعرفه من ينطق العربية من معانٍ.

بينما كيفيتها تخفى عليك.

فهكذا قل في صفات الله واسلك سبيل سلفك فإنه علموا معناها بلغتهم وجهلوا كيفيتها مع اتفاقهم أنها على ما يليق بالله ﷻ.

الدليل التاسع : أن المقصود بالأسماء والصفات تعريف العباد بربهم وأنى يكون ذلك وهذه الصفات مجهولة؟! وأشار إلى هذا القشيري كما تقدم.

الدليل العاشر : أن هذا مصادم ومخالف لبيان الرسالة والشريعة:

فإن الشريعة تربط بين الصفات وآثارها ومتعلقاتها وإليك مثالين يوضحان لك ذلك:

[١٧٢] القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف لإبراهيم البريكان ص ٣١١.

المثال الأول : ما هو حكم قطاع الطريق إذا تابوا قبل أن يقبض عليهم؟! يعفى عنهم أليس كذلك؟ بلى هو كذلك ماذا تظن العمدة في ذلك؟ العمدة فيه هو تعليق الحكم على صفة من صفات الله دون النص عليه وإليك بيان ذلك في آية المائدة قال ﷻ :

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

قل لي بالله عليك : ماذا تفهم من الآية الثانية؟

ما يمكنك أن تجاوب إلا بإثبات الصفة لماذا؟ لأن الله تبارك وتعالى جعل الحكم هنا متعلقًا بالصفة فلما ذكر أن من تاب من قبل أن يقدر عليه جعل الحكم معلقًا بكونه سبحانه غفورًا رحيمًا دل ذلك على أن هاتين الصفتين لهما معنى وهو المغفرة والرحمة مما يدل على أن قاطع الطريق إذا تاب قبل المقدرة عليه فإنه لا يقام عليه حد الحرابة والعمدة في هذا هو هاتين الصفتين وهذه الآية كافية في إبطال ما ادعيتموه من أن الصفات لا معنى لها تعالى الله عما تقولون علوًا كبيرًا.

المثال الثاني: حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: (لَمَّا غَزَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَيْبَرَ، أوْ قالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أشْرَفَ النَّاسُ علَى وادٍ، فَرَفَعُوا أصْوَاتَهُمْ بالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ، إنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو معكُمْ)[١٧٣].

ووجه الدلالة أوضح من أن أبينه لك لكن لا بأس بذلك فإن النبي ﷺ قال لهم ذلك لما رفعوا أصواتهم بالتكبير فوصف الله بأنه غير أصم غير غائب بل هو موصوف بالسمع والقرب فعليه

[١٧٣] رواه البخاري ٧٣٨٤ ومسلم ٢٧٠٤.

اخفضوا أصواتكم واربعوا أي وارفقوا على أنفسكم ولو كانت هاتين الصفتين لا معنى لهما لما كان إتيان النبي ﷺ بهما وربطهما بالحادثة في هذا الموضع من الحكمة بل هو مجرد عبث ينزه عنه النبي ﷺ وحاشاه صلوات ربي وسلامه عليه أن يقول ذلك عبثًا.

الدليل الحادي عشر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

(فَمَنْ قَالَ عَنْ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا وَعَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَلْ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِ مَعْنَاهَا كَمَا اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ وَقْتِ السَّاعَةِ وَإِنَّمَا كَانُوا يَقْرَءُونَ أَلْفَاظًا لَا يَفْهَمُونَ لَهَا مَعْنًى كَمَا يَقْرَأُ الْإِنْسَانُ كَلَامًا لَا يَفْهَمُ مِنْهُ شَيْئًا فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الْقَوْمِ وَالنُّقُولُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْهُمْ تَدُلُّ عَلَى نَقِيضِ هَذَا وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْهَمُونَ هَذَا كَمَا يَفْهَمُونَ غَيْرَهُ مِنْ الْقُرْآنِ وَإِنْ كَانَ كُنْهُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِيطُ بِهِ الْعِبَادُ وَلَا يُحْصُونَ ثَنَاءً عَلَيْهِ فَذَاكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَعْلَمُوا مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مَا عَلَّمَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا أَنَّهُمْ إذَا عَلِمُوا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَعْرِفُوا كَيْفِيَّةَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَإِذَا عَرَفُوا أَنَّهُ حَقٌّ مَوْجُودٌ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَعْرِفُوا كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ)[١٧٤].

وكل دليل من الأدلة المتقدمة يعتبر وجهًا من وجوه الرد على هذه الشبهة والله أعلم .

~ وأما استدلالك بآية آل عمران فلا يتعارض مع ما ذكرنا ذلك أن السلف رضوان الله عليهم لم يفهموا منها ما فهمت وانظر آثارهم المتقدمة في ذلك وكل ما تقدم من الأدلة يدل على بطلان فهمك للآية.

لكن لا بأس أن ندرس هذه الآية ونعرف الأقوال فيها لكي تعرف بطلان قولك هداك الله:

أولًا: ينبغي أن تعرف معاني التأويل قبل أن تفسر الآية فإن للتأويل ثلاثة معانٍ هي :

[١٧٤] مجموع الفتاوى ٤٢٥/١٧.

١- التأويل: في اصطلاح كثير من المتأخرين هو : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلًا في اصطلاح هؤلاء وظنوا أن مراد الله تبارك وتعالى بالتأويل هذا التأويل وأن للنصوص تأويلًا يخالف مدلولها.

والقول بأن هذا التأويل هو المقصود بالآية باطل للأدلة المتقدمة ولأمور أخرى هي:

الأمر الأول: أن التأويل بهذا المعنى لم يكن معروفًا عند السلف فلم يكن الله ليخاطبهم بما لا يعلمون معناه ، ومن زعم أنه معلوم معناه عند السلف فالبيّنة.

الأمر الثاني: أنه لو كان التأويل بهذا المعنى لما فسر السلف نصوص الصفات كما تقدم نقل ذلك عنهم ولما بيّنوا المقصود بالتشابه فيها.

الأمر الثالث: أنه على الفرض بأن هذا التأويل معروف معناه عند السلف – ولا نسلِّم لكم بذلك – فما الدليل الدال على وجوب صرف نصوص الصفات عن وجهها؟

إن قلت هذه الآية دليل قلنا لك : أنت الآن تستدل بمحل النزاع نحن مختلفون في معنى الآية فتستدل علينا بفهمك لها هذا أولًا ثانيًا ليس في الآية بيان أن نصوص الصفات من المتشابه.

فإن استدللتم بنصوص نفي المثيل عن الله سبحانه وتعالى: استدللنا عليكم بفهم السلف لها وبيان أن المقصود إثبات يليق بالله سبحانه وتعالى على ما تقدم ذكره في المسألة الأولى وبيان أن قولنا هذا ليس تمثيلًا.

فعليه يكون فهمكم للتأويل الوارد في هذه الآية بهذا المعنى تأويل باطل فعليه لا يكون مراد الشرع صرف اللفظ عن ظاهره.

٢-التأويل : بمعنى التفسير ، تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أم لم يوافقه وهذا التفسير هو اصطلاح كثير من المفسرين وعلى رأسهم إمام المفسرين ابن جرير الطبري

فتجدهم يقول عند كل آية : تأويلها كذا وكذا وهو معنى معلوم في الشرع ومن ذلك: ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دعا له فقال:

(اللَّهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْه التَّأويلَ)[١٧٥].

فاستجاب الله دعاء نبيه وصار ابن عباس إمامًا في التفسير يرجع إليه.

وأيضًا يوضح ذلك:

قول أسلم رحمه الله: (كُنَّا بمَدينةِ الرُّومِ، فأخرَجوا إلينا صَفًّا عَظيمًا مِن الرُّومِ، فخرَجَ إليهم مِن المسلِمينَ مِثلُهم أو أكثَرُ، وعلى أهلِ مِصرَ عُقبةُ بنُ عامِرٍ، وعلى الجَماعةِ فَضالةُ بنُ عُبَيدٍ، فحَمَلَ رجُلٌ مِن المسلِمينَ على صَفِّ الرُّومِ، حتى دخَلَ عليهم، فصاحَ الناسُ وقالوا: سُبْحانَ اللهِ، يُلقي بيَدَيْه إلى التَّهلُكةِ. فقامَ أبو أيُّوبَ الأنصاريُّ رضي الله عنه فقال: يا أيُّها الناسُ، إنَّكم لتُؤَوِّلونَ هذه الآيةَ هذا التَّأويلَ؛ وإنَّما نزَلَتْ هذه الآيةُ فينا مَعشَرَ الأنصارِ، لمَّا أعَزَّ اللهُ الإسلامَ وكَثُرَ ناصِروه، فقال بعضُنا لبعضٍ سِرًّا دونَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ أموالَنا قد ضاعَتْ، وإنَّ اللهَ قد أعَزَّ الإسلامَ، وكَثُرَ ناصِروه، فلو أقَمْنا في أموالِنا فأصلَحْنا ما ضاعَ منها. فأنزَلَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى على نَبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرُدُّ علينا ما قُلْنا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) فكانَتِ التَّهلُكةُ الإقامةَ على الأموالِ وإصلاحَها، وتَرْكَنا الغَزوَ)[١٧٦].

[١٧٥] رواه أحمد ٣١٠٢ والبزار ٥٠٧٥ وابن حبان ٧٠٥٥ وغيرهم وإسناده صحيح (صححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٢٨٥/٧ أحمد شاكر في تحقيقه مسند أحمد وشعيب الأرناؤوط في تخريجه صحيح ابن حبان ، وقال المحدث مقبل الوادعي : (إسناده على شرط مسلم) صحيح دلائل النبوة ٢٤٥).

[١٧٦] رواه أبو داود ٢٥١٢ والنسائي في الكبرى ١١٠٢٩ والترمذي ٢٩٧٢ واللفظ للترمذي وإسناده صحيح صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي بنفس رقم الحديث عند الترمذي.

فلما فهم الناس الآية فهمًا خاطئًا قال أخطأتم تفسيرها بهذا المعنى ثم بين تأويلها بتفسير معناها.

٣- التأويل : بمعنى الحقيقة التي يؤول الكلام إليها .

وهذا معنى وارد عند السلف أيضًا وهو مستعمل بهذا المعنى في القرآن في مواضع عدة منها:

قوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) وهذا التأويل لا يعلمه إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: (الاستواء معلوم والكيف مجهول) فالاستواء معلوم ، يعلم معناه ويُفسّر ويترجم بلغة أخرى وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله)[١٧٧].

فبعد بيان أنواع التأويل يتبين لك أن تفسير السلف للآية لا يحتمل إلا هذين المعنيين فإليك اختلافهم في الآية:

القول الأول: القائلون بالوقف في الآية الكريمة عند لفظ الجلالة فتكون الواو في قوله تعالى :(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) استئنافية فتكون مبتدأ وخبرًا.

ومعنى هذا القول : أن الله سبحانه هو الذي يعلم تأويل هذا المشتبه وحده ﷻ .

ذهب إلى القول بالوقف: جمهور الصحابة والتابعين:

فمن الصحابة : ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وعائشة وأبيّ بن كعب ﭫ أجمعين.

[١٧٧] الحموية ص ٢٩٠ وما بعدها وهو الذي بين معاني التأويل الثلاثة هذه .

ومن التابعين : عروة بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز وأبي الشعثاء وأبي نهيك رحمهم الله أجمعين[١٧٨].

القول الثاني : القائلون بالوصل مع (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) والوقف عليها فتكون الواو في (وَالرَّاسِخُونَ) عاطفة وجملة : (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) معطوفة على لفظ الجلالة.

ويكون معنى الآية: أنه لا يعلم أحد بتفسير المتشابه إلا الله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم من خلقه.

والقائلون بالوصل جماعة منهم: ابن عباس رضي الله عنهما في أحد قوليه ومجاهد تلميذه ومُحَمَّد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن مُحَمَّد رحمهم الله أجمعين[١٧٩].

واختاره من العلماء: ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)[١٨٠] والنووي (ت ٦٧٦هـ)[١٨١] وابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)[١٨٢] رحمهم الله أجمعين.

وأدلتهم لهذا القول تقدمت كحديث : (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس) ولم يقل كل الناس .

~ وفي الحقيقة لا تعارض بين القولين:

فإن أصحاب القول الأول قصدوا بالمتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله هو حقائق هذه الأمور الغيبية وكيفياتها وهيئتها كصفات الله وحقائق يوم القيامة ووقت الساعة ونحو ذلك.

والدليل على ذلك ما تقدم من فهم أصحاب القول نفسه كابن مسعود وعائشة وابن عباس ﷺ من فهمهم لصفات الله معنى وقد تقدم ذلك فارجع لموضعه.

---

[١٧٨] ذكر القائلين بهذا القول من الصحابة والتابعين ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢١٨/٥ والقاضي أبو يعلى في العدة ٢٩٠/٢.
[١٧٩] جامع البيان للطبري ٢٢٠/٥ ومعالم التنزيل للبغوي ٢٨٠/١ وتفسير ابن كثير ١٢/٢.
[١٨٠] تأويل مشكل القرآن له ص٩٨-١٠١.
[١٨١] شرحه صحيح مسلم ٢١٨/١٦.
[١٨٢] مجموع الفتاوى ٤٠٠/١٧.

فلو كان أصحاب هذا القول أرادوا بالآية أنه لا يعلم معاني هذه الأمور في أصل اللغة لما فسروها هم أنفسهم.

وهذا الأمر الذي هو علم الله وحده بحقائق وكيفيات هذه الأمور الغيبية متفق عليه بين أصحاب القولين.

وأما القول الثاني فلا يتعارض مع الأول: فإن أصحاب القولين كلاهما يعلمون أن من النصوص ما يكون مشتبهًا على بعض الناس واضحًا عند العامة .

من ذلك الآيات التي استدل بها الخوارج على حرمة تحكيم الرجال فإنها اشتبهت عليهم وفهموا منها غير الحق بينما ابن عباس رضي الله عنهما لما ناظرهم كان عالمًا بها وليست مشتبهة عليه فرجع بعد مناظرته لهم كثير منهم لأنه تبين لهم أنهم لم يفهموها الفهم السليم.

المسألة الثالثة : في كلامك السابق قلت بأن من حملوا نصوص الصفات على ظاهرها أخطأوا في حملهم لها على ظاهرها والرد على هذه الشبهة سهل جدًا:

ذلك أنه تقدم ذكر عدة أدلة على أن القول بأن نصوص الصفات من المتشابه باطل وتلك الأدلة نفسها نرد بها على هذه الشبهة[١٨٣].

لكن لا بأس أن نفصل هنا قليلًا:

أولًا: ما معنى الظاهر :

الظاهر لغة: ما يدل على البروز والتبين والغلبة والعلو[١٨٤].

واصطلاحًا: له عدة تعريفات:

- فقد عرّفه بعض الأصوليين بـ: (ما دل بنفسه على معنى راجح مع احتمال غيره)[١٨٥].
- وعرف بعضهم بـ: (كل ما يسبق إلى العقل السليم لمن يفهم تلك اللغة)[١٨٦].

ثم اعلم أنه يكون الظهور بأحد أمرين:

الأمر الأول: بأصل الوضع .

يعني أن ظاهر هذا اللفظ معلوم لكل من يتكلم العربية فإن معناه بالعربية هو ظاهره.

الأمر الثاني: ظهوره علم بالسياق.[١٨٧]

يعني من يسمع الكلام يفهم منه ظاهر الكلمات الغريبة[١٨٨] عليه بسياقها وهذا نشاهده بيننا فتجد أن كل منا عنده لهجة لكن أحيانًا إذا تكلم أحدهم بلهجته واستعمل كلمة ليست في قاموسك قد تعرفها باستخدامه لها.

---

[١٨٣] راجع المسألة الثانية.
[١٨٤] معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة: (ظهر) ولسان العرب ٢٧٣/٨-٢٨١ والمصباح المنير ص ٣٨٧.
[١٨٥] الحدود في الأصول ص ١٤٢ والتعريفات للجرجاني ١٤٣ والأصول من علم الأصول لابن عثيمين.
[١٨٦] ذم التأويل لابن قدامة ص ٤٥ والرسالة المدنية لابن تيمية ص ٣١ والإيضاح في أصول الدين لابن الزاغوني الحنبلي ص٢٨١.
[١٨٧] الرسالة المدنية ص ٣١ و انظر: التسعينية ٥٦٦/٢-٥٧٣.

ثانيًا: اعلم أنه صار فيما بعد عهد الصحابة وانتشر بعد عهد القرون المفضلة الإجمال في لفظة (الظاهر) وبيان وجه الإجمال كالتالي:

إذا قال المتأخرون ظاهر النصوص مراد أو غير مراد وما كان من هذا القبيل من كلامهم فإنه يحتمل معنيين:

المعنى الأول: أن يريدوا بالظاهر ما يقتضي التشبيه — وهذا هو الذي فهموه من نصوص الصفات – يعني ما يفيد تشبيه الله بخلقه أو بخصائصهم وهذا غير مراد بلا أدنى شك بل الواجب عدم تشبيه الله بخلقه كما تقدم ذكره في عقيدة أهل السنة والجماعة لكن محل النزاع هل هذه النصوص تفيد التشبيه؟ الجواب قد تقدم في المسألة الأولى[١٨٩].

المعنى الثاني: أن يريدوا بالظاهر ما يعلمه كل عربي من معنى هذه اللفظة دون اعتقاد أنها تشبه ما عند المخلوقين[١٩٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد، أو ظاهرها ليس بمراد.

فإنه يقال: لفظ «الظاهر» فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد.

ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمّون هذا ظاهرا[١٩١]، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرًا وباطلا، والله – سبحانه وتعالى – أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال)[١٩٢].

---

[١٨٨] إما غريبة في معناها أو تحتاج إلى أن تجعل في سياق كلام حتى يظهر معناها مثل: فوق وأسفل وأعلى فإن معناها معلوم بأصل الوضع لكنها تحتاج إلى إضافتها إلى كلام لكي يتضح مراد القائل بها: فأسفل الطاولة ليس كأسفل المنزل وأعلى الدولاب ليس كأعلى المنزل مثلًا وهكذا.

[١٨٩] هل نصوص الصفات تفيد التشبيه؟ راجع المسألة الأولى فكل ما ورد فيها من الرد على هذا القول هو رد عليهم في هذه المسألة فإنكم ما قتم بنفي الظاهر إلا لأجل فهمكم لها بأنها تفيد التشبيه ولا نسلم لكم ذلك كما قدمنا.

[١٩٠] وهذه مسألة القدر المشترك وقد تقدمت بتوضيح كاف شاف.

قال الذهبي رحمه الله:

(قُلْتُ: قَدْ صَارَ الظَّاهِرُ اليَوْم ظَاهِرَيْنِ: أَحَدُهُمَا حقّ، وَالثَّانِي بَاطِل، فَالحَقّ أَنْ يَقُوْلَ: إِنَّهُ سمِيْع بَصِيْر، مُرِيْدٌ متكلّم، حَيٌّ عَلِيْم، كُلّ شَيْء هَالك إِلاَّ وَجهَهُ، خلق آدَمَ بِيَدِهِ، وَكلَّم مُوْسَى تَكليماً، وَاتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلاً، وَأَمثَال ذَلِكَ، فَنُمِرُّه عَلَى مَا جَاءَ، وَنَفهَمُ مِنْهُ دلاَلَةَ الخِطَابِ كَمَا يَليق بِهِ تَعَالَى، وَلاَ نَقُوْلُ: لَهُ تَأْوِيلٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ.

وَالظَّاهِرُ الآخر وَهُوَ البَاطِل، وَالضَّلاَل: أَنْ تَعتَقِدَ قيَاس الغَائِب عَلَى الشَّاهد، وَتُمَثِّلَ البَارِئ بِخلقه، تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ، بَلْ صفَاتُهُ كَذَاته، فَلاَ عِدْلَ لَهُ، وَلاَ ضِدَّ لَهُ، وَلاَ نَظيرَ لَهُ، وَلاَ مِثْل لَهُ، وَلاَ شبيهَ لَهُ، وَلَيْسَ كَمثله شَيْء، لاَ فِي ذَاته، وَلاَ فِي صفَاته، وَهَذَا أَمرٌ يَسْتَوِي فِيْهِ الفَقِيْهُ وَالعَامِيُّ وَاللهُ أَعْلَمُ)[١٩٣].

~ وسبب هذا الإجمال أن هؤلاء المتأخرين لم يفهموا من الظاهر إلا التشبيه وذلك باطل.

قال الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله (ت١٣٣٢هـ):

(وذلك أن المعطلين لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق. ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل.

فمثلوا أولا وعطلوا آخرا. فهذا تشبيه وتمثيل منهم، للمفهوم من أسمائه وصفاته تعالى، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم. فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات اللائقة به عزّ وجلّ. بخلاف سلف الأمة وأجلاء الأئمة. فإنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصف به نبيّه صلّى الله عليه وسلّم. من غير تحريف ولا تشبيه)[١٩٤].

---

[١٩١] كما تقدم نقل بعض أقوالهم في ذلك.
[١٩٢] التدمرية ص ٦٩.
[١٩٣] سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٩.
[١٩٤] محاسن التأويل ٣٥٥/٨.

~ والرد عليهم[١٩٥] كما يلي:

الوجه الأول: أنكم بجعلكم ظاهر هذه النصوص تشبيه الله بخلقه نسبتم الكفر إلى السلف من لدن الصحابة إلى عهد تابعي التابعين لأنهم حملوها على ظاهرها.

فقد أجمع السلف على إجراء النصوص على ظاهرها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما السلفية فعلى ما حكاه الخطابي[١٩٦] وأبو بكر الخطيب[١٩٧] وغيرهما قالوا: مذهب السلف إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنه)[١٩٨].

الوجه الثاني: أنه لو فتح هذا الباب لألزمكم أهل الضلال من الطوائف الأخرى للنصوص معانٍ باطلة كما تقدم بعضها كأن يريدوا بلفظ الحج في نصوص الكتاب والسنة ما ليس على ظاهره بل يريدوا به الحج إلى الشيوخ والقبور ونحو ذلك.

ومنه تأويل الرافضة ظاهر قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) : بأن البحرين علي وفاطمة رضي الله عنهما واللؤلؤ والمرجان اللذين خرجا منهما هما الحسن والحسين.

وقالوا بأن ظاهرها غير مراد بل المراد معنى آخر فأنتم بهذه الطريقة تفتحون الباب لتحريف أهل البدع للنصوص ولي معانيها وهذا يبطل الاحتجاج بالنصوص من أصله لأنك إذا احتججت عليهم بنص قالوا: ظاهره غير مراد وهكذا في دوامة لا نهاية لها[١٩٩]

قال ابن القيم رحمه الله مبينًا ذلك: (المحذور الرابع تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواههم وقد حلت بها المثلات وتلاعبت بها أمواج التأويلات وتقاذفت

---

[١٩٥] زيادة على ما تقدم في المسألة الأولى.
[١٩٦] وانظر معالم السنن للخطابي ١٢٢/٧.
[١٩٧] جواب سؤال بعض أهل دمشق عن الصفات للخطيب البغدادي ص ٦٤-٦٥.
[١٩٨] التسعينية ٥٥٩/٢.
[١٩٩] انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢١٥-٢١٦.

بها رياح الآراء واحتوشتها رماح الأهواء ونادى عليها أهل التأويل في سوق من يزيد فبذل كل واحد في ثمنها من التأويلات ما يريد فلو شاهدتها بينهم وقد تخطفتها أيدي الاحتمالات ثم قيدت بعدما كانت مطلقة بأنواع الإشكالات وعزلت عن سلطنة اليقين وجعلت تحت حكم تأويل الجاهلين)[٢٠٠].

الوجه الثالث: أنه لو كان الظاهر منها غير مراد كما ادعيتم لجاء بيان المراد منها عن النبي ﷺ فإن تأخير البيان عن وقته محرم بإجماع العلماء :

قال الآمدي : (تأخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز بالإجماع)[٢٠١].

وقال الغزالي: (لَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ)[٢٠٢].

وقال ابن السمعاني: (لَا خِلَافَ بَيْنَ الْأُمَّةِ فِي امْتِنَاعِ تَأْخِيرِ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَى الْفِعْلِ)[٢٠٣].

ودليله قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) وقوله: (أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ).

فبما أنه لم يأتِ بيان هذه النصوص مع الحاجة إلى بيان المراد منها دل ذلك على أن ظاهرها مراد إذ لو لم يكن مرادا لبين النبي ﷺ المراد منها لأنه ﷺ حاشاه أن يكتم بيانها لأن كتمان بيانها فيه نفي تبليغ الرسالة ولازمه نفي العدالة عن النبي ﷺ ووصفه بالخيانة وهي صفة فسق هذا لازم قولكم[٢٠٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

[٢٠٠] الصواعق المرسلة ٢٩٧/١.
[٢٠١] الإحكام ١٨٩/١.
[٢٠٢] المستصفى ٤٨٣/١.
[٢٠٣] البحر المحيط ٤٠١/٤.
[٢٠٤] وبين ذلك بيانًا شافيًا العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان ٣٧٥/٢-٣٧٨.

(وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق، ولا أوضحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن نفهم منه شيئاً، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه.

وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد)[٢٠٥].

الوجه الرابع: أن السلف رحمهم الله زيادة على كونهم فهموا من نصوص الصفات ظاهرها فإنهم أيضًا نصوا على حملها على ظاهرها فمما ورد عنهم في ذلك:

- قال الإمام أحمد رحمه الله في كلامه على أحاديث الرؤية:

(والْحَدِيث عندنَا على ظَاهره كَمَا جَاءَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْكَلَام فِيهِ بِدعَة وَلَكِن نؤمن بِهِ كَمَا جَاءَ على ظَاهره وَلَا نناظر فِيهِ أحدا)[٢٠٦].

وذكرت عنده أحاديث صفة الضحك فأثبتها على ما وردت عليه نقل ذلك عنه القاضي أبو يعلى الحنبلي ثم قال: (فقد نص على صحة هذه الأحاديث والأخذ بظاهرها والإنكار على من فسرها ، وذلك أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه)[٢٠٧].

- قال ابن قتيبة رحمه الله (ت ٢٧٦ هـ):

(الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله ﷺ ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك)[٢٠٨].

---

[٢٠٥] درء تعارض العقل والنقل ١/٢٠١-٢٠٢.
[٢٠٦] أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل ص ٢٤.
[٢٠٧] إبطال التأويلات ١/٢١٨.
[٢٠٨] الاختلاف في اللفظ ص ٤٤.

- قال الدارمي رحمه الله (ت٢٨٠هـ): (والقرآن عربي مبين تصرف معانيه إلى أشهر ما تعرفه العرب في لغاتها وأعمِّها عندهم)[٢٠٩].

- عن سهل بن عبدالله التستري (ت٢٨٣هـ):

(احتفظوا بالسواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا خرج إلى الزندقة)[٢١٠].

- الإمام ابن أبي عاصم الشيباني رحمه الله(ت ٢٨٧هـ):

(فجميع ما في كتابنا –كتاب السنة الكبير الذي فيه الأبواب – من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها ويجب التسليم لها على ظاهرها وترك تكلف الكلام في كيفيتها...) وذكر من تلك الصفات النزول إلى السماء الدنيا والاستواء[٢١١].

- قال ابن سريج الشافعي رحمه الله (ت٣٠٣هـ):

(ونجمع على ما أجمعوا عليه ونمسك عما أمسكوا عنه ونسلّم الخبر لظاهره والآية لظاهر تنزيلها ولا نقول بتأوي المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيّفة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل)[٢١٢].

أكتفي بهذا خشية الإطالة وغيره عن السلف كثير وما تركت أكثر مما نقلت.

(الأحاديث الضعيفة وأحاديث الآحاد)

وزعمتَ أننا أهل السنة أضفنا في باب الصفات أحاديث آحادية في بعضها مقال عند علماء الحديث.

---

[٢٠٩] نقضه على المريسي ص ١٥٧.
[٢١٠] رواه الهروي في ذم الكلام ٣٧٨/٤.
[٢١١] العلو للذهبي ص ١٩٧.
[٢١٢] جزء فيه أجوبة في أصول الدين لابن سريج ص٥٥ ونقله أيضًا الذهبي عنه في العلو ص ٢٠٧.

فالجواب: أن نقول لا نسلم لك بادعائك احتجاجنا بالأحاديث التي فيها مقال عند علماء الحديث فأثبت بالبينات واترك الدعاوى إن كنت صادقًا أما احتجاجنا بالآحاد فسيأتي التفصيل في حكمه – إن شاء الله –.

ثم نقول لك أنتم حتى الأحاديث الصحيحة بل والمتواترة – فضلًا عن أخبار الآحاد – أولتموها وصرفتموها عن ظاهرها كما في أحاديث رؤية المؤمنين لربهم فإنها نصوص متواترة [٢١٣] ومع ذلك لم تسلموا بها.

فمن الأولى بكلامك هذا؟!

ثم مما يبين أن هذا الادعاء كذب علينا من أننا نحتج بالأحاديث الضعيفة التي فيها مقال عدم وجود مثال صحيح عليه هذا أولًا.

ثانيًا : ما نص عليه الأئمة في ذكر قواعدنا في إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى يثبت لك حرصهم كل الحرص على عدم إثبات صفة لله لم يرد بها دليل صحيح.

وأنقل لك في ذلك نقلًا واحدًا عن إمام من أئمتنا خشية الإطالة:

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله (ت ٣١١ هـ): (لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولًا إليه لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضًا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس)[٢١٤].

[٢١٣] نص على ذلك جمع من أهل العلم: كالكتاني في نظم المتواتر وابن حجر في فتح الباري والعيني في عمدة القاري وابن حزم في الفصل وابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل وغيرهم.
[٢١٤] التوحيد ١٤٣/١.

المسألة الرابعة : ثم استمر في ادعائه الذي لا بينة عليه فقال: بأننا توغلنا في البحث في نصوص الصفات حتى شبهنا الله الخالق بعبيده المخلوقين.

ما لنا إلا أن نقول : (مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) والله وبالله وتالله إن دعوى أننا شبهنا الله بخلقه كذب له قرون كيف ونحن نكفر المشبهة؟!! فليثبت نصًا واحدًا عن أهل السنة أنهم شبهوا الله بخلقه.

فإن كان – وهو الظن – يريد بأن إثباتنا الصفات لله هو تشبيه له بخلقه فقد تقدم الرد على هذا في المسألة الأولى ، ومما ذكرته هناك أن الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح كلهم أثبتوا هذه الصفات لله بما يليق بجلاله فهل كانوا كفارًا مشبهةً ؟!! كما هو لازم دعواكم .

ونحن – ولله الحمد – على غرزهم وسننهم حذو القذة بالقذة وكل حرف يخالفهم فنحن منه براء سابقا ولاحقا ؟!

المسألة الخامسة : أرى أنك لا تفتأ تدعي دعاوى عديمة الأدلة فانظر إليه هنا قال بأننا (وربما دخلت في مؤلفاتهم روايات إسرائيلية فوقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل) ولا أدري كيف لك أن تورد شيئا هو في منزلة الاحتمال والوهم لذا صدرته بهذه الجملة (ربما).

والجواب عن ذلك : قوله تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ).

وهنا لفتة : أرأيت اليهود الكفرة الفجرة قد أقرهم الله على إثبات صفة له ورد عليهم في وصفهم لها بالنقص كما قال تعالى:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) فأقرهم الله على إثبات صفة اليدين لكن بين أنهما على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى فالله ينفق بهما كيف شاء لا كما قالت اليهود.

المسألة السادسة : قال (م . ر) : (فأثبتوا له الطلوع والنزول والتنقل من مكان إلى مكان والحلول والجلوس وأثبتوا له عينًا ورجلًا ويدًا وقدمًا وساقًا).

قلت: خلطت بين حق وباطل :

فأما مسألة الطلوع والجلوس والتنقل من مكان إلى مكان فهذه فيها تفصيل أُرجئه إلى موضع آخر.

وأما إثباتنا لله (عينًا ويدًا وقدمًا وساقًا ونزولًا) فليس على إطلاق هذا الذي أطلقته بل عينًا تليق به سبحانه ويدًا تليق به سبحانه وقدمًا تليق به سبحانه وساقًا تليق به سبحانه.

وما تجاوزنا كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ فهل نأثم باتباعنا هذين المصدرين؟ بل الإثم والله في مخالفتهما أفننفي شيئًا أثبته الله في كتابه وهو سبحانه أعلم بنفسه أوأثبته رسوله ﷺ وهو أعلم الخلق بربه ونفلح ونؤجر؟!! كلا والله بل نضل ونؤزر.

وبينت لك سابقًا أن إثبات صفات الله على ما يليق به لا يقتضي تشبيهًا أقولها بملء في وأعيدها وأكررها وقد تقدم بيان ذلك فراجعها حتى تفهمه.

فأما الأدلة الدالة على إثبات هذه الصفات التي ذكرتها فها هي بيّنة واضحة أمامك هداك الله وردك للصواب:

فأما إثبات العين لله تبارك وتعالى فمن النصوص الدالة عليه:

- قال تعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا).
- قال تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي).
- قال تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا).
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (ما بَعَثَ اللَّهُ مِن نَبِيٍّ إلَّا أنْذَرَ أُمَّتَهُ، أنْذَرَهُ نُوحٌ والنَّبِيُّونَ مِن بَعْدِهِ، وإنَّه يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَما خَفِيَ علَيْكُم مِن شَأْنِهِ

فليسَ يَخْفَى علَيْكُم: أنَّ رَبَّكُمْ ليسَ علَى ما يَخْفَى علَيْكُم ثَلاثًا، إنَّ رَبَّكُمْ ليسَ بأَعْوَرَ، وإنَّه أعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ)[٢١٥].

- عن أبي هريرة ﷺ أنه قرأ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) إلى قوله تعالى : (سَمِيعًا بَصِيرًا) قال: رأيت رسول اللهِ ﷺ يضع إبهامه على أذنه ، والتي تليها على عينه . قال أبو هريرة : رأيت رسول اللهِ ﷺ ، يقرؤها ويضع إصبعيه قال ابن يونس : قال المقرئ : يعني (إن الله سميع بصير) يعني : أن لله سمعًا وبصرًا[٢١٦].

قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله (ت ٣١١ هـ):

(فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُثْبِتَ لِخَالِقِهِ وَبَارِئِهِ مَا ثَبَّتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ لِنَفْسِهِ، مِنَ الْعَيْنِ، وَغَيْرُ مُؤْمِنٍ مَنْ يَنْفِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا قَدْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، بِبَيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مُبَيِّنًا عَنْهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي قَوْلِهِ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لِلَّهِ عَيْنَيْنِ، فَكَانَ بَيَانُهُ مُوَافِقًا لِبَيَانِ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، الَّذِي هُوَ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، مَقْرُوءٌ فِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ)[٢١٧].

وقال أيضًا رحمه الله: (نَحْنُ نَقُولُ: لِرَبِّنَا الْخَالِقِ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا مَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَتَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، لَا يُخْفَى عَلَى خَالِقِنَا خَافِيَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ، وَلَا مِمَّا بَيْنَهُمْ وَلَا فَوْقَهُمْ، وَلَا أَسْفَلَ مِنْهُنَّ لَا يَغِيبُ عَنْ بَصَرِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، يَرَى مَا فِي جَوْفِ الْبِحَارِ وَلُجَجِهَا كَمَا يَرَى عَرْشَهُ الَّذِي هُوَ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ وَبَنُو آدَمَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ عُيُونٌ يُبْصِرُونَ بِهَا فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَرَوْنَ مَا قَرُبَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ، مِمَّا لَا حِجَابَ وَلَا سِتْرَ بَيْنَ الْمَرْئِيِّ وَبَيْنَ أَبْصَارِهِمْ، وَمَا يَبْعُدُ مِنْهُمْ)[٢١٨].

- وقال الشيخ العلامة مُحَمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله :

---

[٢١٥] رواه البخاري ٧٤٠٧.
[٢١٦] رواه أبو داود ٤٧٢٨ وإسناده صحيح (صحيح سنن أبي داود للألباني ٤٧٢٨ و الصحيح المسند للوادعي ١٢٦٧).
[٢١٧] كتاب التوحيد له ٩٧/١.
[٢١٨] المصدر السابق ١١٣/١.

(وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور")[٢١٩].

وأما إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى ففي أدلة منها:

- قال تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ).

ولو كان معنى اليدين كما تزعمون القوة والقدرة فهذا باطل لأمور ومنها:

. أن الآية لا تدل على ذلك فإن الله خص آدم على إبليس بخلقه بيديه ولو كان معنى اليدين القدرة لاحتج إبليس وقال: وأنت خلقتني بيديك . لأن إبليس إنما خلق بقدرة الله تبارك وتعالى.

. ثم أيضًا أنتم فررتم من تشبيه الله بخلقه إذا أثبتم له يدين فوقعتم في تشبيه من جهتين أخرى:

الجهة الأولى: أنكم شبهتم الله بخلقه إذ جعلتم يد الله بمعنى القدرة وللخلق قدرة فإن قلتم : قدرته ليست كقدرتهم قلنا لكم : ويد الله ليست كأيدينا.

الجهة الثانية: ما تقدم ذكره من قول ابن خزيمة في المسألة الأولى من أنكم شبهتم الله بما خلقه من خلقه بلا يد.

فلو أنكم قلتم مثل قولنا لسلمتم يدٌ ليست كأيدينا عملًا بنصوص إثبات اليدين ونصوص نفي المثيل عن الله تبارك وتعالى.

- قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ).

فأقرهم على إثباتهم له يدين وأنكر عليه وصفهم لها بالنقائص.

[٢١٩] عقيدة أهل السنة والجماعة ص ١٢.

ثم أيضًا أنتم قد تؤلون صفة اليد بالقدرة والقوة وهذا لا يناسب فإن الآية لا يسمح سياقها بذلك أفلله قدرتان وقوتان؟! بل له قدرة مطلقة ليست قدرتان كما لزمكم وله القوة المطلقة وليست قوتان كما لزمكم.

- عن النبي ﷺ قال: (فيأتونه فيقولون : يا آدم! أنت أبو البشر ؛ خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه)[٢٢٠].
- وقال ﷺ : (إِن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)[٢٢١].
- وقال ﷺ : (إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، وَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ)[٢٢٢].

فأما إثبات صفة القدم لله سبحانه وتعالى فثابت في عدة أدلة منها:

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:

(فأما النار؛ فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله (وعند مسلم: قدمه)، فتقول: قط قط ...)[٢٢٣].

- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال:

(الكُرسيُّ موضعُ القدَمينِ ولَهُ أطيطٌ كأطيطِ الرَّحلِ)[٢٢٤].

وأما إثبات صفة الساق لله سبحانه وتعالى فثابت في دليلين هما:

- قال تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ).

---

[٢٢٠] رواه البخاري ٣٣٤٠ ومسلم ١٩٤ .
[٢٢١،٢٢١] رواه مسلم ٢٧٥٩ .
[٢٢٢] رواه الآجري في الشريعة برقم ٥٤٢ بهذا السياق، قال الألباني في (السلسلة الصحيحة) (٣١٣٦): إسناده صحيح.
[٢٢٣] رواه البخاري ٤٨٥٠ ومسلم ٢٨٤٦.
[٢٢٤] رواه ابن أبي شيبة في العرش (ص٦٧)، وعبد الله بن أحمد في ((السنة)) (٣٠٢/١)، والطبري في تفسيره (٥/ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في ((العظمة)) (٦٢٧/٢)، وابن منده في ((الرد على الجهمية)) (ص٢١)، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (٢٩٦/٢) (٨٥٩). صحح إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (٤٧/٨)، والألباني في ((مختصر العلو)) (٧٥).

- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال – في حديث طويل –: (فيأتيهم الجبَّار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء . فيقولون هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون الساق ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن)[٢٢٥].

وأما دليل إثبات صفة النزول لله تبارك وتعالى فهذا أمر تواترت النصوص بإثباته:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ رواه عنه نحو ثمانية عشر نفسًا من الصحابة وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع كيف تكون حقيقته محالًا وباطلًا وهو يتكلم بها دائمًا ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة ...)[٢٢٦].

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

(يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له)[٢٢٧].

فالنبي ﷺ أعلم الخلق بربه يقول بأن الله ينزل وأنت تنفي أليس هذا من المحادة والمعاندة أعاذني الله وإياكم من ذلك ؟!!.

[٢٢٥] رواه البخاري بصحيحه في كتاب التفسير ٤٩١٩ وفي كتاب التوحيد ٧٤٣٩.
[٢٢٦] مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٦٦.
[٢٢٧] رواه البخاري (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم (٧٥٨).

المسألة السابعة : ذكر أننا نثبت صفتي الطلوع والتنقل من مكان إلى مكان والحلول لله تعالى:

وهذه الصفات لا أعلم ورودها في الكتاب ولا في السنة وصفًا لله تبارك وتعالى فعليه لا نصف الله تبارك وتعالى بها لا كما ادعيت علينا فإن من القواعد المتقررة عند أهل السنة والجماعة:

أن أسماء الله وصفاته توقيفية .

ومعنى كونها توقيفية : أي أننا لا نثبت لله تبارك وتعالى شيئًا لم يثبته لنفسه سبحانه وتعالى في كتابه أو سنة رسوله ﷺ

وأدلة هذه القاعدة عديدة منها:

- قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا).
- وقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (فإذا وصفت الله بصفة لم يصف بها نفسه فقد قُلتَ عليه ما لم تعلم وهذا محرّم بنص القرآن)[٢٢٨].

وممن قرر هذه القاعدة من السلف :

- الإمام أحمد رحمه الله إذ قال: (نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه قد أجمل الصفة لنفسه ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك)[٢٢٩].

---

[٢٢٨] شرح العقيدة الواسطية ٧٥/١.
[٢٢٩] رواه ابن بطة الحنبلي في الإبانة ٣٢٦/٣ وسنده صحيح.

- قال الدارمي رحمه الله تعالى مبينًا مصادر الأسماء والصفات بيان حصر لا بيان تمثيل: (ونصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ)[٢٣٠].

- وقال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى:

(لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل موصولًا إليه لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضًا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس)[٢٣١].

- قال الإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله (ت ٣٢٩ هـ):

(واعلم رحمك الله أن الكلام في الرب تعالى محدث وهو بدعة وضلالة ولا يتكلم بالرب إلا بما وصف به نفسه عز وجل في القرآن وما بيّ رسوله ﷺ لأصحابه وهو جلَّ ثناؤه واحد (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))[٢٣٢].

- وقال الإمام أبو نصر السجزي (ت ٤٤٤ هـ) رحمه الله حاكيًا الإجماع على هذه القاعدة:

(وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا)[٢٣٣].

- وأختم بتقرير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لهذه القاعدة تقريرًا بليغًا: (فقلت: أما الاعتقاد : فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه سلف الأمة فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم)[٢٣٤].

---

[٢٣٠] الرد على الجهمية ص ١٢.
[٢٣١] التوحيد ١٤٣/١.
[٢٣٢] شرح السنة له ص ٦٣.
[٢٣٣] الرد عل من أنكر الحرف والصوت ص ١٧٨.
[٢٣٤] مجموع الفتاوى ١٦١/٣.

فبهذا تعلم أن هذه الدعوى كذب على أهل السنة أنهم يثبتون لله ما ليس صحيحًا وقد تبين لك طريقتنا في إثبات الصفات لله سبحانه.

فإذا تبين ذلك فاعلم بأن الصفات التي ذكرتها : صفات لم يرد في الكتاب والسنة وصف الله بها وهي صفات مجملة والصفات المجملة عندنا أهل الحق أهل السنة والجماعة لها تعامل وأبينها الآن في نقاط:

أولًا: تعريفها:

هي الكلمات المتشابهة المشتملة على المعاني الحقة والباطلة[٢٣٥].

وقد بين ابن القيم رحمه الله تعريفها نظمًا فقال:

وهي التي اشتملت على أمرين من

حق وأمر واضح البطلان [٢٣٦]

~ أنواع الألفاظ المجملة ثلاثة هي:

النوع الأول: مجمل محدث اللفظ والمعنى كالجوهر والعرض والجسم وحلول الأحداث ونحوها من مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين.

والحكم فيه : أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف به ولا يثبت له ذلك ولا ينفى بل ينظر في مراد القائل لها فإن كان حقًا أثبتنا المعنى ورددنا اللفظ.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينًا نهج السلف في هذا النوع:

[٢٣٥] درء التعارض لابن تيمية ٧٣/١و٧٦ و٢٢١-٢٢٢ وشفاء العليل لابن القيم ١٣٦/١.
[٢٣٦] قصيدته النونية ص ٢٣٢.

(والسلف والأئمة وأهل الحديث والسنة المحضة من جميع الطوائف لا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله.

والألفاظ المجملة المبتدعة لا يثبتونها ولا ينفونها إلا بتبيان معانيها، فما كان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان مخالفاً لذلك نفوه، فلا يطلقون: هو جسم ولا جوهر، ولا يقولون: ليس بجسم ولا جوهر، كما لا يطلقون إثبات لفظ الحيز ولا ينفونه)[٢٣٧].

النوع الثاني : ألفاظ مجملة محدثة المعنى لا اللفظ: فإن هذه الألفاظ قد تكون موجودة في الكتاب والسنة أو في اللغة العربية لكن ليست بهذا المعنى الذي به تحتمل الحق والباطل. كلفظ (التوحيد) و(التشبيه) و(المثل) و(التوسل) ونحوها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينًا لها:

(فإن هؤلاء عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن، وربما جاءت في القرآن بمعني آخر، فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن، بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفياً باطلاً، نفاه الشرع والعقل، وهم اصطلحوا بتلك العبارات علي معان غير معانيها في لغة العرب، فتبقى إذا أطلقوا نفيها لم تدل في لغة العرب علي باطل، ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل، فمن خاطبهم بلغة العرب قالوا: إنه لم يفهم مرادنا، ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال ما يخالف القرآن، وكان هذا من جهة كون تلك الألفاظ مجملة مشتبهة .... – ثم مثل لها بأمثلة منها – التوحيد والواحد فهم يريدون بلفظ التوحيد والواحد في اصطلاحهم : ما لا صفة له ولا يعلم منه شيء دون شيء ولا يرى)[٢٣٨].

---

[٢٣٧] درء التعارض ١٠/٢٥٨-٢٥٩.
[٢٣٨] درء التعارض ١/١٢٢-١٢٣.

وغايتهم بهذا هو ما بينه وقال عنه: (قَدْ صَارَ كُلُّ مَنْ أَرَادَ نَفْيَ شَيْءٍ مِمَّا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَبَّرَ بِهَا عَنْ مَقْصُودِهِ فَيَتَوَهَّمُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مُرَادَهُ أَنَّ الْمُرَادَ تَنْزِيهُ الرَّبِّ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ وَهُوَ إثْبَاتُ أَحَدِيَّتِهِ وَصَمَدِيَّتِهِ وَيَكُونُ قَدْ أَدْخَلَ فِي تِلْكَ الْأَلْفَاظِ مَا رَآهُ هُوَ مَنْفِيًّا وَعَبَّرَ عَنْهُ بِتِلْكَ الْعِبَارَةِ وَضْعًا لَهُ وَاصْطِلَاحًا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ هُوَ وَمَنْ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَذْهَبِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَلَا مِنْ لُغَةِ أَحَدٍ مِنْ الْأُمَمِ ثُمَّ يَجْعَلُ ذَلِكَ الْمَعْنَى هُوَ مُسَمَّى الْأَحَدِ وَالصَّمَدِ وَالْوَاحِدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَجْعَلُ مَا نَفَاهُ مِنْ الْمَعَانِي الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ تَمَامِ التَّوْحِيدِ)[٢٣٩].

النوع الثالث : ألفاظ مجملة لاقتصار المستعمل لها على بعض معانيها:

هناك ألفاظ وردت في الشرع أو اللغة لها عدة معاني فيهما وكل معنى يعتبر صحيحًا في موضعه لكن البعض قد يقتصر على معنى واحد ويصبح هو استعماله الوحيد لهذا اللفظ فيحتمل استعماله له الحق والباطل مثال ذلك لفظ: (الإرادة والمشيئة) فإن الجبرية والقدرية إنما استعملوا كل واحد منهما بأحد معنييه فالجبرية إذا قالوا : المشيئة فإنما يعنون مشيئة الرب سبحانه لأن العبد عندهم لا مشيئة له والقدرية يريدون بالمشيئة: مشيئة العبد لا مشيئة الرب لأن الرب عندهم لا قدرة له على فعل العبد تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ونحو ذلك.

وكذلك الإرادة فإذا قيل لك : هل أراد الله فعل العبد للمعصية؟

فالجبرية يقولون : نعم ويريدون بها الإرادة الكونية فقط ولا يثبتون الإرادة الشرعية والقدرية يقولون : لم يرد فعلها ويقصدون بنفي الإرادة هنا الإرادة الشرعية ولا معنى لها عندهم إلا هذا.

وأهل السنة يقولون بالتفصيل:

[٢٣٩] مجموع الفتاوى ١٧/٣٥١-٣٥٢.

فإن المعاصي أراد الله وقوعها كونًا ولذا تجدها تحصل من العباد ولو لم يردها لما حصل في ملكه شيء لم يرده.

ولم يرد وقوعها شرعًا فإن الله في شرعه يريد لنا الهداية (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) فهذه الإرادة شرعية.

وإنما احتجنا إلى هذا التفصيل لما حصل هذا الإجمال من هذه الفرق المبتدعة.

إذن الخلاصة والقاعدة: كل لفظ مجمل محتمل للحق والباطل له حالتان:

الحالة الأولى: إن كان لفظًا مستعملًا في الشرع واللغة استفصلنا من قائله فإن كان أراد حقًا أثبتنا اللفظ والمعنى – لأن كلاهما ثابتين أصلًا في شرعنا – وإن أراد باطلًا أثبتنا اللفظ بمعناه الحق ورددنا المعنى الباطل الذي أراده.

الحالة الثانية: إن كان لفظًا محدثًا استفصلنا من قائله عن معناه: فإن كان أراد حقًا أثبتنا المعنى وتركنا اللفظ لا نثبته ولا ننفيه وإن كان أراد الباطل رددنا المعنى الباطل وتركنا اللفظ لا نثبته ولا ننفيه لاحتماله معنى حقًا ومعنى باطل[٢٤٠].

~ أدلتنا في ذلك عديدة منها:

- قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) .

وجه الدلالة: أن الآية دلت على أن ما لا يعلم نفيه ولا إثباته وجب السكوت عنه لئلا نقع في القول على الله بلا علم فإن علمنا منه معنى حقًا أثبتنا المعنى لعلمنا بأنه حق في الشرع لكن اللفظ نتوقف فيه لعدم وروده في الشرع ولاحتماله عدة معان باطلة وحقة.

[٢٤٠] انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٣٢/١٦ والتدمرية ص ٦٥-٦٧ والتسعينية ١٧٥/١ وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٢١٨.

- وقوله تعالى: (قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ).

وجه الدلالة: أن هذه الآية فيها تأديب لمن تجاوز الكتاب والسنة بما لم يذكره الله فيها ولم يوحه إلى نبيه ﷺ فإن الله ما ترك ذلك إلا لحكمة فلا يجوز لنا أن نثبت في الشرع أو نفي شيئًا عنه لم يرد به فيه نفي ولا إثبات لأن ذلك من التعدي على الله ﷻ.

قال الإمام مُحَمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله: (ومعلومٌ أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ولا يصف الله بعد الله أعلم به من رسوله ﷺ (قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ))[٢٤١].

- وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

وجه الدلالة : أن الله ﷻ نهى عن إطلاق كلمة (راعنا) لأنها تحتمل معنى صحيحًا وآخر سيئًا فقد كانت اليهود تطلقها وتريد بها معنى سيئًا والمؤمنون يطلقونها ويريدون بها معنى حسنًا ولكن لما احتملت هذين المعنيين الشر والخير قطع الله السبيل المؤدية للشر ولو كانت لا تؤدي إليه دائمًا وكذلك في هذا الباب ينبغي أن نسلك هذا المسلك .

قال العلامة السعدي رحمه الله: (فيه الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن وعدم الفحش وترك الألفاظ القبيحة أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن)[٢٤٢].

~ تطبيق السلف للقاعدة:

أذكر بعض الأمثلة من تطبيق وتقرير السلف رحمهم الله لهذه القاعدة:

- قال الإمام الشافعي: (إذا سمعت الرجل يقول: (الاسم غير المسمى) أو (الاسم المسمى) فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له)[٢٤٣].

---

[٢٤١] منع جواز المجاز ص ٤٤.
[٢٤٢] تفسيره ص ٥٤.
[٢٤٣] جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١١٠٦ وذم الكلام للهروي ١١٤٧.

- الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: (ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر، وهو من المحال فقال: "أخبرونا عن القرآن أهو الله أو غير الله؟

فادعى في القرآن أمرًا يوهم الناس. فإذا سئل الجاهل عن القرآن: هو الله أو غير الله؟ فلابد له من أن يقول بأحد القولين.

فإن قال: هو الله. قال له الجهمي: كفرت. وإن قال: هو غير الله. قال: صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقًا؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي.

وهذه المسألة من الجهمي من المغاليط، فالجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن: هو الله أو غير الله؟ قيل له: وإن الله – جل ثناؤه – لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا، ولم يقل: غيري، وقال هو كلامي فسميناه باسم سماه الله به)[٢٤٤].

- وقال الإمام الطبري رحمه الله (ت ٣١٠ هـ):

(وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الِاسْمِ: أَهُوَ الْمُسَمَّى أَمْ غَيْرُ الْمُسَمَّى؟ فَإِنَّهُ مِنَ الْحَمَاقَاتِ الْحَادِثَةِ الَّتِي لَا أَثَرَ فِيهَا فَيُتَّبَعُ، وَلَا قَوْلَ مِنْ إِمَامٍ فَيُسْتَمَعُ، فَالْخَوْضُ فِيهِ شَيْنٌ، وَالصَّمْتُ عَنْه زَيْنٌ. وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، وَالْقَوْلِ فِيهِ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ، الصَّادِقِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا))[٢٤٥].

- قال ابن بطة رحمه الله (ت ٣٨٧ هـ):

(فَقَالَ: أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ، هَلْ هُوَ اللَّهُ أَوْغَيْرُ اللَّهِ؟ فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ اللَّهُ، فَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ الْقُرْآنَ، وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ غَيْرُاللَّهِ، فَمَا كَانَ غَيْرَ اللَّهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، فَيَظُنُّ الْجَهْمِيُّ الْخَبِيثُ أَنْ قَدْ فَلَجَتْ حُجَّتُهُ وَعَلَتْ بِدْعَتُهُ، فَإِنْ لَمْ يُجِبْهُ الْعَالِمُ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ نَالَ بَعْضَ فِتْنَتِهِ. فَالْجَوَابُ لِلْجَهْمِيِّ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ لَهُ: الْقُرْآنُ لَيْسَ هُوَ اللَّهُ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَبِذَلِكَ سَمَّاهُ اللَّهُ قَالَ (فَأَجِرْهُ

[٢٤٤] الرد على الجهمية والزنادقة ص ٢٢١-٢٢٤.
[٢٤٥] صريح السنة ص٤٨.

حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) وَبِحَسْبِ الْعَاقِلِ الْعَالِمِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يُسَمِّيَ الْأَشْيَاءَ بِأَسْمَائِهَا الَّتِي سَمَّاهَا اللَّهُ بِهَا، فَمَنْ سَمَّى الْقُرْآنَ بِالِاسْمِ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ بِهِ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ وَلَا بِمَا سَمَّاهُ بِهِ، كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَعَلَى اللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) فَهَذَا مِنَ الْغُلُوِّ وَمِنْ مَسَائِلِ الزَّنَادِقَةِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ اللَّهُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهَ كَلَامًا وَأَبْطَلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَا يُقَالُ إِنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ اللَّهِ، كَمَا لَا يُقَالُ إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا قُدْرَةَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا صِفَاتِ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا عِزَّةَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا سُلْطَانَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا وُجُودَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَكِنْ يُقَالُ: كَلَامُ اللَّهِ، وعِزَّةُ اللَّهِ، وَصِفَاتُ اللَّهِ، وَأَسْمَاءُ اللَّهِ وَبِحَسْبُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ولله مِنَ الْمُطِيعِينَ وَبِكِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ ولِأَمْرِ اللَّهِ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ أَنْ يُسَمِّيَ الْقُرْآنَ بِمَا سَمَّاهُ اللَّهُ بِهِ)[٢٤٦].

فنقول لك: ماذا تعني بلفظ الطلوع؟ أتعني أن الله في العلو؟ فإن أردت ذلك قلنا : المعنى صحيح واللفظ نتوقف فيه لما تقدم من الأدلة على ذلك.

وإن قلت معنى باطل قلنا : المعنى باطل لا نقبله واللفظ نتوقف فيه.

وكذلك الطريقة في باقي الألفاظ المجملة التي ذكرتها.

[٢٤٦] الإبانة ٢/١٧٩-١٨١.

المسألة الثامنة : أخبار الآحاد وحجيتها في الاعتقاد.

كان مما ذكرتَ في إنكارك على أهل السنة احتجاجهم بأحاديث الآحاد في الاعتقاد فكان لزامًا بيان الحق في ذلك:

~ تعريف أخبار الآحاد:

هي لغة: جمع واحد وهو المنفرد[٢٤٧].

وخبر الواحد في اللغة هو: ما يلقيه ويرويه شخص واحد وعليه فخبر الآحاد ما يرويه مجموعة قليلة لأن صيغة آحاد من صيغ جموع القلة[٢٤٨].

واصطلاحًا: ما لم يجمع شروط التواتر من الأخبار[٢٤٩].

ولا يمكننا معرفته إلا بمعرفة الخبر المتواتر.

والمتواتر: ما رواه جماعة يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب على مثلهم وأسندوه إلى شيء محسوس[٢٥٠].

~ مبنى القائلين بعدم الأخذ بأخبار الآحاد في الاعتقاد:

بنوا شبهتهم على أن أخبار الآحاد لا تفيد العلم وإنما تفيد الظن فعليه لا يصح الاستدلال بها في الاعتقاد[٢٥١].

والحق الذي لا ريب فيه أن أخبار الآحاد تفيد العلم (أي تفيد صدورها من النبي صلى الله عليه وسلم يقينًا) إذا كانت صحيحة[٢٥٢] واقترنت بها قرائن تقويها.

---

[٢٤٧] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦٧/١ وتهذيب اللغة ١٢٦/٥ والقاموس المحيط ٣٣٨ ولسان العرب ٧٠/٣.
[٢٤٨] موسوعة العقيدة والأديان ٩٣٤/٢.
[٢٤٩] الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ١٦ ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني ٥٣-٥٦.
[٢٥٠] نزهة النظر لابن حجر ٥٣-٥٦ والإحكام للآمدي ١٤/٢-٣١ وشرح الكوكب المنير ٣٢٣/٢-٣٢٤.
[٢٥١] الشامل في أصول الدين للجويني ١٦١ وأساس التقديس للفخر الرازي ٢١٢ والنور اللامع للناصري الماتريدي.
[٢٥٢] وذلك بتوفر شروط الصحة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة ...)[٢٥٣].

وأدلة القول كثيرة وهي أيضًا أدلة على حجية خبر الآحاد في جميع الدين عقيدة وعملًا:

الدليل الأول:

قال تعالى: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)

وقول النبي ﷺ : (بلغوا عني ولو آية)[٢٥٤].

وجه الدلالة:

أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلَّغ ولا يمكن أن تقوم عليه الحجة إلا أن يعلم بأن هذه الأخبار صادرة يقينًا من النبي ﷺ فإنها لولم تكن تلك الأخبار تفيد العلم للزم من ذلك أننا في هذه العصور لم تقم علينا الحجة هذا أولًا ، ثانيًا موجب عدم قيام الحجة علينا عدم تأكدنا بأن هذا الخبر يقين الثبوت عن النبي ﷺ فعليه لا يحصل بذلك البلاغ (وهو الذي يوجب قيام الحجة) وهذا اللازم لا أظن مسلمًا يقول به[٢٥٥].

فإن نتيجة القول بعدم إفادتها للعلم أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يكون النبي ﷺ بلغ رسالته لكن الله لم يحفظها حتى تصل إلينا ونجزم بأنها صادرة من النبي ﷺ وهذا تعدي على الله سبحانه وتعالى لأن الله حافظ دينه.

الأمر الثاني: أن يكون النبي ﷺ لم يبلغها وهذا كفر بواح فيه تعدي على جناب النبي ﷺ واتهام له بالخيانة.

---

[٢٥٣] مختصر الصواعق المرسلة ٥٢١/٢.
[٢٥٤] رواه البخاري ٣٢٧٤.
[٢٥٥] أفاده بمعناه ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ٥٤٥.

الدليل الثاني:

قال تعالى : (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ).

وجه الدلالة: أن الطائفة تقع على الواحد فما فوقه .

قال البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب أخبار الآحاد بعد استدلاله بهذه الآية : (ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية)[٢٥٦].

قال مجاهد[٢٥٧] رحمه الله: (الطائفة الرجل فما فوقه)[٢٥٨].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (الطائفة تصدق على واحد)[٢٥٩].

فبما أن الطائفة تقع على الواحد وما فوقه وقد جعلها الله منذرة لقومها عند رجوعها إليهم دل ذلك على أن الإنذار مفيد للعلم فإنهم ما ينذرون قومهم إلا بما تفقهوه من النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الآية إثبات حجية خبر الآحاد في الاعتقاد:

قال السمعاني رحمه الله: (وَاسْتدلَّ أهل الْأُصُول بِهَذِهِ على وجوب قبُول خبر الْوَاحِد)[٢٦٠].

قال ابن عادل رحمه الله: (دلَّت هذه الآيةُ على أنَّ خبر الواحد حجة)[٢٦١].

---

[٢٥٦] صحيح البخاري ٨٦/٩.
[٢٥٧] هو مجاهد بن جبر عرض المصحف على ابن عباس ثلاث مرات يوقفه عند كل آية يسأله عنها.
[٢٥٨] رواه في مصنف عبدالرزاق الصنعاني ٣٦٧/٧ ورواه الفراء في معاني القرآن ٢٤٥/٢ .
[٢٥٩] تفسير ابن كثير ٦/٦.
[٢٦٠] تفسيره ٣٦٠/٢.
[٢٦١] اللباب في علوم الكتاب ٢٤١/١٠.

الدليل الثالث: قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) وقال أيضًا: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) فبهاتين الآيتين يتبين أن كل ما يصدر عن النبي ﷺ يعتبر حقًا ليس داخلًا في قوله (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) لأنه لم يصدر من النبي ﷺ إلا عن وحي من السماء.

إذا تبين هذا فإن القول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم مطلقا يلزم منه وصف الصحابة بأنهم قالوا على الرسول ﷺ ما لم يعلموا عنه وهذا خدش في عدالة الصحابة رضوان الله عليهم.

لأنه قد ثبت عن الصحابة –كما سيأتي – قبلوهم لأخبار الآحاد ولو كانت لا تفيد العلم لكان تصديقهم بها زعم منهم أن النبي قالها وهذا قول من غير علم يقدح في العدالة.

الدليل الرابع: قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

لو كان ما بلغنا عن النبي ﷺ من الآحاد لا يفيد العلم وإنما يفيد الظن لكن عملنا به عمل وتعبد لله مبني على الظن محتمل للصدق والكذب والله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما وافق هدي رسوله ونحن باتباعنا لهذا الظن لا ندري أوافقناه أم خالفناه لأننا لم نتيقن من صدور هذا الخبر عن النبي ﷺ بل هو أمر محتمل.

ولازم ذلك إبطال العمل بخبر الآحاد حتى في مسائل العبادات التي لا تقولون أنت بترك خبر الآحاد فيها.

الدليل الخامس: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) وفي قراءة (فتثبتوا)[٢٦٢].

وجه الدلالة: أن الله أمرنا بالتثبت عند قدوم خبر الفاسق لأنه محتمل للصدق والكذب بينما لم يأمرنا بذلك عند قدوم خبر الصادق العدل فدل هذا على أن خبره يوجب العلم ولو لم

[٢٦٢] وهو قراءة عامة قراء المدينة كما يقول الطبري ٣٤٨/٢١.

يفد العلم بل أفاد الظن لأمرنا بالتثبت لأن الظن محتمل للصدق والكذب ومن المحال أن لا يأمرنا الله بالتثبت والحال هذه لأن هذا قول بلا علم ويترتب عليه أحكام ليست على علم والله نهى عن القول بلا علم[٢٦٣].

قال القرطبي رحمه الله: (فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَ عَدْلًا، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَ فِيهَا بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ نَقْلِ خَبَرِ الْفَاسِقِ. وَمَنْ ثَبَتَ فِسْقُهُ بَطَلَ قَوْلُهُ فِي الْأَخْبَارِ إِجْمَاعًا، لِأَنَّ الْخَبَرَ أَمَانَةٌ وَالْفِسْقُ قَرِينَةٌ يُبْطِلُهَا)[٢٦٤].

ولذلك تجد في كثير من الأحاديث النبوية يقول الصحابي: قال رسول الله وإنما سمعه الصحابي من صحابي آخر ولو لم يكن خبر الآحاد الذي نقله له الصحابي الآخر موجبًا للعلم لكان هذا الصحابي قائلًا على النبي ﷺ بلا علم والقائل عليه بلا علم يتبوأ مقعده من النار كما في الحديث المتواتر المتفق عليه[٢٦٥].

الدليل السادس: قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ).

وجه الدلالة: قال ابن القيم رحمه الله: (فَأَمَرَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الذِّكْرِ وَهُمْ أُولُو الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَخْبَارَهُمْ تُفِيدُ الْعِلْمَ لَمْ يَأْمُرْ بِسُؤَالِ مَنْ لَا يُفِيدُ خَبَرُهُ عِلْمًا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ سَلُوا عَدَدَ التَّوَاتُرِ بَلْ أَمَرَ بِسُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ مُطْلَقًا، فَلَوْ كَانَ وَاحِدٌ لَكَانَ سُؤَالُهُ وَجَوَابُهُ كَافِيًا)[٢٦٦].

الدليل السابع: قال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

---

[٢٦٣] مختصر الصواعق المرسلة ٥٥٠.
[٢٦٤] تفسيره ٣١٢/١٦.
[٢٦٥] المصدر السابق ٥٥٠.
[٢٦٦] المصدر السابق ٥٥١.

وجه الدلالة: أنه لو كانت أخبار الآحاد لا تفيد العلم بل قد تكون باطلة وحقة فإنها تكون عذرًا لمن خالف أمر الرسول ﷺ فإنه لم تقم عليه بها الحجة إذ أنه يقول قد تكون باطلًا لم يصح عن النبي ﷺ فهي أمر محتمل وهذا فيه من الانسلاخ من طاعة الله ما الله به عليم[٢٦٧].

الدليل الثامن: قال تعالى: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ومن المعلوم أن ما أتى به النبي ﷺ هو حكم الله لقوله تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى).

وجه الدلالة: أن القول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم يلزم منه أن من خالف خبر الآحاد في مسألة فإنه لم يخالف حكم الله وعليه لا يأثم.

ويلزم من كون سنة النبي ﷺ أنها من حكم الله حفظ الله لها لئلا تتعدى حدود الله فلو لم تفد العلم لم يكن ذلك حفظًا لها بل قد تخالف بحجة عدم القطع بأنها حكم الله وعدم الجزم فيتعذر من فعل ذلك بأن الحجة لم تقم عليه لأنه لم يرد ما يجزم ويقطع بأن هذا حكم الله.

فنتهك محارم الله بذلك وتعالى الله أن يترك حفظ سنة نبيه لأنها من شرعه والله حافظ دينه.

الدليل التاسع: عن أَبِي رَافِعٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي يَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا هَذَا، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْقُرْآنُ، أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)[٢٦٨].

وجه الدلالة: ما ذكره ابن القيم وهو : (أَنَّ هَذَا نَهْيٌ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخَالِفَهُ أَوْ يَقُولَ لَا أَقْبَلُ إِلَّا الْقُرْآنَ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ لَازِمٌ، وَفَرْضٌ حَتْمٌ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِ وَسُنَنِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ أَوْحَاهَا إِلَيْهِ، فَلَوْ لَمْ تُفِدْ عِلْمًا لَقَالَ مَنْ بَلَغَتْهُ: إِنَّهَا أَخْبَارُ آحَادٍ لَا تُفِيدُ عِلْمًا فَلَا يَلْزَمُنِي قَبُولُ مَا لَا عِلْمَ

---

[٢٦٧] المصدر السابق ٥٥٤.

[٢٦٨] رواه أحمد ٢٣٨٧٦ ورواه أبو داود ٤٦٠٥ والشافعي في مسنده ١٧٩٤ والطبراني في مسند الشاميين ١٨٨١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٥.

لِي بِصِحَّتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُكَلِّفْنِي الْعِلْمَ بِمَا لَمْ أَعْلَمْ صِحَّتَهُ وَلَا اعْتِقَادَهُ، بَلْ هَذَا بِعَيْنِهِ هُوَ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ وَنَهَاهَا عَنْهُ، وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ مَنْ يَقُولُهُ حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، فَإِنَّ الْقَائِلَ إِنَّ أَخْبَارَهُ لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ هَكَذَا يَقُولُ سِوَاهُ لَا نَدْرِي مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ)[٢٦٩].

الدليل العاشر: فعل الصحابة دليل ذلك:

قال ابن القيم رحمه الله:

(أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ لَوْ لَمْ يُفِدِ الْعِلْمَ لَمْ يُثْبِتْ بِهِ الصَّحَابَةُ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ وَالْإِبَاحَةَ وَالْفُرُوضَ، وَيُجْعَلْ ذَلِكَ دِينًا يُدَانُ بِهِ فِي الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، فَهَذَا الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَادَ فِي الْفُرُوضِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ فَرْضَ الْجَدَّةِ وَجَعَلَهُ شَرِيعَةً مُسْتَمِرَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِخَبَرِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَالْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَقَطْ[٢٧٠]، وَجَعَلَ حُكْمَ ذَلِكَ الْخَبَرِ فِي إِثْبَاتِ هَذَا الْفَرْضِ حُكْمَ نَصِّ الْقُرْآنِ فِي إِثْبَاتِ فَرْضِ الْأُمِّ، ثُمَّ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُمْ عَلَى إِثْبَاتِهِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ، وَأَثْبَتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِخَبَرِ حَمَلِ بْنِ مَالِكٍ دِيَةَ الْجَنِينِ وَجَعَلَهَا فَرْضًا لَازِمًا لِلْأُمَّةِ[٢٧١]، وَأَثْبَتَ مِيرَاثَ الْمَرْأَةِ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا بِخَبَرِ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ[٢٧٢] وَحْدَهُ، وَصَارَ ذَلِكَ شَرْعًا مُسْتَمِرًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَثْبَتَ شَرِيعَةً عَامَّةً فِي حَقِّ الْمَجُوسِ بِخَبَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَحْدَهُ[٢٧٣]، وَأَثْبَتَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ شَرِيعَةً عَامَّةً فِي سُكْنَى الْمُتَوَفَّى عَنْهَا بِخَبَرِ فُرَيْعَةَ بِنْتِ مَالِكٍ وَحْدَهَا[٢٧٤]، وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، بَلْ هُوَ إِجْمَاعٌ مَعْلُومٌ مِنْهُمْ، وَلَا يُقَالُ عَلَى هَذَا إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْعَمَلِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ فِي الظَّنِّيَاتِ وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ ذَلِكَ لِأَنَّا قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا

---

[٢٦٩] المصدر السابق ٥٥٥.

[٢٧٠] أخرجه أبو داود (٢٨٩٤) والترمذي (٢١٠١) وابن ماجه (٢٧٢٤) وأحمد (١٨٠٠٩) والنسائي في (السنن الكبرى)(٦٣٤٠).

[٢٧١] رواه الدارقطني ٣٢٠٧ والبيهقي ٤٣/٨ وصححه وكذلك صححه الإمام ابن دقيق العيد في الاقتراح ٩٥ الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٥٥/١ والعلامة محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان ٥٩٧/٣ وشعيب الأناؤوط في تخريج الدارقطني ٣٢٠٧.

[٢٧٢] الإلزامات للدارقطني وألزم الشيخان بإخراجهما ١١٠.

[٢٧٣] أخرجه أبو داود (٣٠٤٤) والبيهقي (١٩١٢٨).

[٢٧٤] أخرجه أبو داود (٢٣٠٠)، والترمذي (١٢٠٤)، وابن ماجه (٢٠٣١)، وأحمد (٢٧٠٨٧) والنسائي (٣٥٢٨) وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن ٥٣٣/١.

عَلَى قَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِمُوجَبِهِ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا أَوْ غَلَطًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَكَانَتِ الْأُمَّةُ مُجْمِعَةً عَلَى قَبُولِ الْخَطَأِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَهَذَا قَدْحٌ فِي الدِّينِ وَالْأُمَّةِ)[٢٧٥].

والأدلة في ذلك كثيرة فمن أرادها فليراجع أواخر كتاب مختصر الصواعق المرسلة فقد ذكر ٢١ دليلًا.

وأما قولهم بأن أحاديث الآحاد لا يصح الاحتجاج بها في مسائل الاعتقاد فباطل لعدة أوجه:

الوجه الأول: أن النصوص الشرعية دالة على الأخذ بخبر الآحاد سواء في مسائل الاعتقاد أم في مسائل الأحكام :

~ الأدلة على ذلك كثيرة ومنها:

ما تقدم ذكره (الدليل الثاني والثالث والخامس والعاشر) وزيادة عليها ما يلي:

الدليل الخامس: قال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ).

وجه الدلالة: أن الله تبارك وتعالى أوعد على كتمان الهدى فيجب على من سمع من النبي ﷺ شيئًا أن يظهره فلو لم يجب علينا قبوله لكان الإظهار كعدمه ولا يقدم شيئًا ولا يؤخر وهذا من العبث الذي ينزه الله عنه[٢٧٦].

قال القرطبي رحمه الله:

(وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ الْعَمَلِ بِقَوْلِ الْوَاحِدِ، لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْبَيَانُ إِلَّا وَقَدْ وَجَبَ قَبُولُ قَوْلِهِ، وَقَالَ:(إِلَّا الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا) فَحَكَمَ بِوُقُوعِ الْبَيَانِ بخبرهم)[٢٧٧].

[٢٧٥] مختصر الصواعق المرسلة ٥٥٦.
[٢٧٦] أفاد علاء الدين البخاري في كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ٥٤٠/٢.

الدليل السادس: قصة موسى بمدين :

(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فقبل موسى عليه السلام خبر أبيهما في دعواه أنهما ابنتاه فتزوج إحداهما بناء على خبره.

الدليل السابع: قال تعالى: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا).

والحكمة هي السنة[٢٧٨].

قال قتادة رحمه الله: (أي السنة)[٢٧٩].

قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله تعالى (وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ) يعني القرآنَ. (وَالحِكْمَةَ) يعني السنة، قاله الحسنُ وقتادة ومقاتلُ بنُ حيان وأبو مالك)[٢٨٠].

وجه الدلالة:

قال القرطبي رحمه الله: (فَأَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُخْبِرْنَ بِمَا يُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي بُيُوتِهِنَّ، وَمَا يَرَيْنَ مِنْ أَفْعَالِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَسْمَعْنَ مِنْ أَقْوَالِهِ حَتَّى يُبَلِّغْنَ ذَلِكَ إِلَى النَّاسِ، فَيَعْمَلُوا وَيَقْتَدُوا. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الدِّينِ)[٢٨١].

الدليل الثامن: عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عنْه علَى اليَمَنِ، قَالَ: (إنَّكَ تَقْدَمُ علَى قَوْمٍ أهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في

---

[٢٧٧] تفسيره ١٨٥/٢.
[٢٧٨] تفسير الشافعي ١١٩٥/٣ .
[٢٧٩] رواه محمد بن نصر المروزي في السنة ١٠٩.
[٢٨٠] تفسيره ٣١٧/١.
[٢٨١] تفسيره ١٨٤/١٤.

يَومِهِمْ ولَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم زَكَاةً مِن أمْوَالِهِمْ وتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أطَاعُوا بهَا، فَخُذْ منهمْ وتَوَقَّ كَرَائِمَ أمْوَالِ النَّاسِ)[٢٨٢].

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ اكتفى بإرسال معاذ رضي الله عنه بهذه الأمور والتي هي شاملة للاعتقاد والعبادة.

الدليل التاسع: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَعَثَ بكِتابِهِ إلى كِسْرَى، فأمَرَهُ أنْ يَدْفَعَهُ إلى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، يَدْفَعُهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إلى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى مَزَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أنَّ ابْنَ المسَيِّبِ قالَ: فَدَعا عليهم رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[٢٨٣].

وعن ابن عباس أيضًا : أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، كَتَبَ إلى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إلى الإسْلَامِ، وبَعَثَ بكِتَابِهِ إلَيْهِ مع دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، وأَمَرَهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يَدْفَعَهُ إلى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إلى قَيْصَرَ[٢٨٤].

قال الشافعي رحمه الله : (بعث رسول الله ﷺ سراياه وعلى كل سرية أحد وبعث رسله إلى الملوك إلى كل ملك واحد ولم تزل كتبه تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهي فلم يكن أحد من ولاته يترك تنفذ أمره وكذا كان الخلفاء بعده)[٢٨٥].

الدليل العاشر: وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : (فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ)[٢٨٦].

فلو كان خبر الواحد لا يصح الاحتجاج به لما أمرهم النبي ﷺ أن يبلغوا من لم يحضر لأن هذا لا يصلح في الاحتجاج.

---

[٢٨٢] رواه البخاري ١٤٥٨ ومسلم ١٩.
[٢٨٣] رواه البخاري ٧٢٦٤.
[٢٨٤] رواه البخاري ٢٩٤١.
[٢٨٥] فتح الباري لابن حجر الشافعي ٢٤١/١٣.
[٢٨٦] رواه البخاري ١٧٣٩.

الدليل العاشر: عن فاطمة بنت قيس ﵂ قالت : قَضَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ صَلَاتَهُ وجَلَسَ علَى المِنْبَرِ، وَهو يَضْحَكُ، فَقالَ: لِيَلْزَمْ كُلُّ إنْسَانٍ مُصَلَّاهُ، ثُمَّ قالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: إنِّي وَاللَّهِ ما جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لأنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الذي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عن مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حدَّثَنِي أنَّهُ رَكِبَ في سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مع ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِن لَخْمٍ وَجُذَامَ ...) الحديث[٢٨٧].

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ اكتفى بخبر تميم ﵁ له وصدّقه بل جمع الناس وحدثهم بذلك.

الدليل الحادي عشر: عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : (نضّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع)[٢٨٨].

قال الشافعي رحمه الله: (فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأ يؤديها والامرئ واحد دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه لأنه إنما يؤدي عنه حلال وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا)[٢٨٩].

الدليل الثاني عشر: عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما في قصة العسيف وفيه قال ﷺ : (واغد يا أنيس — لرجل من أسلم – إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها) فاعترفت فرجمها[٢٩٠].

فاعتمد النبي ﷺ خبره في اعترافها مع ما فيه من إقامة حد وقتل نفس مسلمة.

---

[٢٨٧] رواه مسلم في صحيحه ٢٩٤٢.
[٢٨٨] رواه الترمذي ٢٦٥٧ وأحمد ٤٣٦/١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١١٧١٠.
[٢٨٩] الرسالة ٤٠٢-٤٠٣.
[٢٩٠] رواه البخاري ٢١٩٠ ومسلم ١٦٩٧.

الدليل الثالث عشر: عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالوا: ابْعَثْ لَنَا رَجُلًا أَمِينًا فَقَالَ: (لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ) فَاسْتَشْرَفَ له النَّاسُ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ[٢٩١].

الدليل الرابع عشر: عن أنس بن مالك ﷺ : أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَنَزَلَتْ: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وجْهِكَ في السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ)

فَمَرَّ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلَمَةَ وهُمْ رُكُوعٌ في صَلَاةِ الفَجْرِ، وقدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: ألَا إنَّ القِبْلَةَ قدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كما هُمْ نَحْوَ القِبْلَةِ[٢٩٢].

قال الشافعي رحمه الله:

(وأهلُ قباءٍ أهلُ سابقة من الأنصار وفقه، وقد كانوا على قبلةٍ فرض الله عليهم استقبالها. ولم يكن لهم أن يَدَعوا فرض الله في القبلة إلا بما تقوم عليهم الحجة، ولم يلقوا رسول الله، ولم يسمعوا ما أنزل الله عليه في تحويل القبلة، فيكونون مستقبلين بكتاب الله وسنة نبيه سماعاً من رسول الله ولا بخبر عامّةٍ، وانتقلوا بخبر واحد، إذا كان عندهم من أهل الصدق: عن فرضٍ كان عليهم، فتركوه إلى ما أخبرهم عن النبي أنه أَحدث عليهم من تحويل القبلة. ولم يكونوا ليفعلوه – إن شاء الله – بخبر إلا عن علم بأن الحجة تثبُت بمثله، إذا كان من أهل الصدق. ولا ليُحدثوا أيضاً مثل هذا العظيم في دينهم إلا عن علم بأن لهم إحداثَه. ولا يدعون أن يخبروا رسول الله بما صنعوا منه. ولو كان ما قَبلوا من خبر الواحد عن رسول الله في تحويل القبلة، وهو فرض: مما يجوز لهم، لقال لهم – إن شاء الله – رسول الله: قد كنتم على قبلةٍ، ولم

[٢٩١] رواه البخاري ٤٣٨١ ومسلم ٢٤٢٠.
[٢٩٢] رواه مسلم ٥٢٧.

يكن لكم تركها إلا بعد علم تقوم عليكم به حجة من سماعكم مني، أو خبرِ عامةٍ أو أكثرَ من خبر واحد عني)[٢٩٣].

الدليل الخامس عشر: عن أنس ﷺ قال : كُنْتُ أسْقِي أبَا طَلْحَةَ الأنْصَارِيَّ، وأَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ، وأُبَيَّ بنَ كَعْبٍ شَرَابًا مِن فَضِيخٍ – وهو تَمْرٌ –، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقالَ: إنَّ الخَمْرَ قدْ حُرِّمَتْ، فَقالَ أبو طَلْحَةَ: يا أنَسُ، قُمْ إلى هذِه الجِرَارِ فَاكْسِرْهَا، قالَ أنَسٌ: فَقُمْتُ إلى مِهْرَاسٍ لَنَا فَضَرَبْتُهَا بأَسْفَلِهِ حتَّى انْكَسَرَتْ[٢٩٤].

قال الشافعي رحمه الله:

(وهؤلاء في العلم والمكان من النبي وتَقَدُّمِ صحبته بالموضع الذي لا يُنكِره عالم. وقد كان الشراب عندهم حلالاً يشربونه، فجاءهم آت وأخبرهم بتحريم الخمر، فأمر أبو طلحة – وهو مالك الجرار بكسر الجرار، ولم يقل هو، ولاهم، ولا واحد منهم: نحن على تحليلها حتى نلقى رسول الله مع قربه منا أو يأتينا خبر عامَّة. وذلك أنهم لا يُهرِيقون حلالاً، إهراقُه سَرَفٌ، وليسوا من أهله. والحال في أنهم لا يدَعون إخبار رسول الله ما فعلوا، ولا يَدَع – لو كان قبِلوا من خبر الواحد ليس لهم –: أن ينهاهم عن قبوله)[٢٩٥].

الدليل السادس عشر: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب ﷺ أبى دخول الشام وقال : (نفر من قدر الله إلى قدر الله) ... فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إنَّ عِندِي مِن هذا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: (إذَا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذَا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بهَا فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه) قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ[٢٩٦].

---

[٢٩٣] الرسالة ص ٤٠٦-٤٠٨.
[٢٩٤] رواه البخاري ٧٢٥٣ ومسلم ١٩٨٠.
[٢٩٥] الرسالة ٤٠٩.
[٢٩٦] رواه البخاري ٥٣٩٧ ومسلم ٢٢١٩.

الدليل السابع عشر: عن طاووس قال: كُنْتُ مع ابْنِ عَبَّاسٍ إذْ قالَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ: تُفْتِي أَنْ تَصْدُرَ الحَائِضُ، قَبْلَ أَنْ يَكونَ آخِرُ عَهْدِهَا بالبَيْتِ، فَقالَ له ابنُ عَبَّاسٍ: إمَّا لَا، فَسَلْ فُلَانَةَ الأَنْصَارِيَّةَ، هلْ أَمَرَهَا بذلكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ قالَ: فَرَجَعَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ إلى ابْنِ عَبَّاسٍ يَضْحَكُ وَهو يقولُ: ما أَرَاكَ إلَّا قدْ صَدَقْتَ[٢٩٧].

الدليل الثامن عشر: عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، كَانَ يَأْجُرُ الْأَرْضَ، قَالَ: فَنُبِّئَ حَدِيثًا عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِي مَعَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَذَكَرَ عَنْ بَعْضُ عُمُومَتِهِ، ذَكَرَ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَّهُ نَهَى عَنْ كِرَاءِ الْأَرْضِ) قَالَ: فَتَرَكَهُ ابْنُ عُمَرَ فَلَمْ يَأْجُرْهُ[٢٩٨].

الدليل التاسع عشر: عن سعد بن أبي وقاص ﷺ عَنْ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه مَسَحَ علَى الخُفَّيْنِ وأنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عن ذلكَ فَقالَ: نَعَمْ، إذَا حَدَّثَكَ شيئًا سَعْدٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فلا تَسْأَلْ عنْه غَيْرَهُ[٢٩٩].

الدليل العشرون : عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: قلتُ لابنِ عبَّاسٍ : إنَّ نَوفًا البِكاليَّ يزعمُ أنَّ موسَى صاحبَ بني إسرائيلَ ليسَ بموسَى صاحبِ الخَضرِ ، قالَ : كذبَ عدوُّ اللَّهِ ، سمِعتُ أُبيَّ بنَ كعبٍ ، يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يقولُ : قامَ موسَى خطيبًا في بني إسرائيلَ ، فسُئِلَ : أيُّ النَّاسِ أعلمُ ؟ فقالَ : أنا أعلمُ ، فعَتبَ اللَّهُ علَيهِ إذ لم يردَّ العلمَ إليهِ ، فأوحَى اللَّهُ إليهِ أنَّ عبدًا مِن عبادي بمَجمعِ البحرينِ هوَ أعلمُ منكَ ....)[٣٠٠].

فانظر كيف احتج ابن عباس على نوف البكالي بخبر آحاد بخبر أبي بن كعب مما يدلك على أنه متقرر عنده حجية خبر الآحاد إذ لو لم يكن حجة عنده لما احتج به ﷺ.

---

[٢٩٧] رواه مسلم ١٣٢٨.
[٢٩٨] رواه مسلم ١٥٤٧.
[٢٩٩] رواه البخاري ٢٠٢.
[٣٠٠] رواه البخاري ٤٧٢٥.

قال الشافعي رحمه الله: (فابن عباس مع فقهه وورعه يُثبت خبر أبي بن كعب عن رسول الله حتى يُكَذِّبَ به امرأ من المسلمين، إذ حدثه أبي بن كعب عن رسول الله بما فيه دلالة على أن موسى بني إسرائيل صاحبُ الخضر)[٣٠١].

وقال الغزالي: (تواتر واشتهر عمل الصحابة بخبر الواحد في وقائع شتى لا تنحصر وإن لم تنحصر وإن تتوافر آحادها فيحصل العلم بمجموعها)[٣٠٢].

الدليل الحادي والعشرون: إجماع العلماء على حجية أخبار الآحاد:

- قال الشافعي رحمه الله: (ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديمًا وحديثًا على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفت من أن ذلك موجودًا على علمهم)[٣٠٣].
- قال الخطيب البغدادي : (عَلَى الْعَمَلِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ كَانَ كَافَّةُ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْخَالِفِينَ ، فِي سَائِرِ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْكَارٌ لِذَلِكَ وَلَا اعْتِرَاضٌ عَلَيْهِ ، فَثَبَتَ أَنَّ مِنْ دِينِ جَمِيعِهِمْ وُجُوبَهُ ، إِذْ لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ كَانَ لَا يَرَى الْعَمَلَ بِهِ لَنُقِلَ إِلَيْنَا الْخَبَرُ عَنْهُ بِمَذْهَبِهِ فِيهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٣٠٤].
- قال ابن عبدالبر المالكي رحمه الله: (وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار – فيما علمتُ – على قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به، إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن

[٣٠١] الرسالة ٤٤٢.
[٣٠٢] المستصفى ١٧٣.
[٣٠٣] الرسالة ٤٥٧.
[٣٠٤] الكفاية ص ٣١.

الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافًا)[٣٠٥].

- قال ابن حزم رحمه الله: (إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ، ويجري على ذلك كل فرقة في عملها كأهل السنة والخوارج والشيعة، حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك)[٣٠٦].

الوجه الثاني : أن قولكم هذا محدث لم يسبقكم إليه أحد من السلف بل السلف على خلافه فلا دليل لكم على هذا القول[٣٠٧].

ثم أيضًا ما الدليل على التفريق بين مسائل الاعتقاد ومسائل الأحكام في الأخذ بالآحاد.

وكل قول لا دليل عليه في شرعنا فهو باطل .

قال تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) فإن قلتم هو شرع الله قلنا : أين الدليل؟.

وقال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فمن ابتدع في الدين مقالة ولم يأت عليها بدليل صحيح فقد زعم أن الدين ناقص شاء أم أبى.

والقاعدة أن كل هذه المحدثات مردود على أصحابها فقولكم المحدث مردود عليكم غير مقبول لحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[٣٠٨].

---

[٣٠٥] التمهيد ٢/١.
[٣٠٦] الإحكام ١٠٧/١.
[٣٠٧] وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة للألباني ٨.
[٣٠٨] رواه البخاري ٢٦٩٧ ومسلم ١٧١٨ والحديث له لفظ عند أبي جعفر محمد بن سليمان بن حبيب الأسدي في جزء لوين المصيصي رقم ٧١ بإسناد صحيح (رجاله رجال الشيخين) : (من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد) وانظر شرح السنة للبغوي ٢١١/١.

تنبيه: هذه مسألة عقدية فنحن نطالبكم بما تطالبوننا به إيتونا بدليل متواتر ليس بآحاد فإن استدللتم علينا بآحاد فأنتم متناقضون[٣٠٩].

الوجه الثالث : يلزم من ذلك أن تتفاوت عقائد المسلمين بيان ذلك:

لو أن صحابيًا سمع من النبي ﷺ حديثًا في العقيدة فإنه يعتبر يقينًا مقطوعًا به لأنه سمعه من فيّ رسول الله ﷺ مباشرة فيجب عليه اعتقاده بينما من لم يسمعه من الصحابة ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة لا يجب عليه اعتقاده وهكذا دواليك في باقي مسائل الاعتقاد التي لم يسمعها من النبي ﷺ إلا آحاد .

والمسلمون عقيدتهم واحدة فإن الطريق المؤدي إلى الله واحد وهو هدي النبي ﷺ وطريقه فمن لم يكن على هذا الطريق فهيهات هيهات وصوله إلى الله.

(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) قال : (صِرَاطِي) فالصراط واحد ولا يتأتى ذلك مع عقائد مختلفة[٣١٠].

الوجه الرابع : من لوازم هذا إبطال الأخذ بالحديث مطلقًا لأن جماهير المسلمين خصوصًا قبل التدوين والكتابة للسنة إنما وصلتهم الأحاديث بطريق الآحاد والذين وصلهم شيء منه عن طريق التواتر إنما هم أفراد قليلون في كل عصر توجهوا لتتبع طرق الحديث وإحصائها فاجتمع عند كل واحد منهم عدد لا بأس به من الحديث المواتر.

الوجه الخامس : أن الذي يحكم بتواتر الحديث هو العالم بالحديث فإذا قال المحدث: (الحديث متواتر) رد قوله لأنه فرد ويشترط تواتر ذلك عن عدد من العلماء يبلغون عدد

---

[٣٠٩] وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة للإمام الألباني رحمه الله ص ٦
تنبيه: الاستدلال بآيات النهي عن اتباع الظن تقدم رد استدلالكم بها في بداية هذه المسألة.
[٣١٠] رسالة الألباني ص ١٢.

التواتر فيلزم على قاعدتكم لإثبات التواتر من تواتر العلماء على إثباته وهذا ما لم يقل به أحد من محدّثيّ الإسلام ألبتة[٣١١].

فإن قلتم : ليس شرطًا تواتر الحكم بتواتر الحديث عن المحدثين.

قلنا : يلزمكم أيضًا حينما قبلتم قول واحد من المحدثين أن تقول رواية المحدث الواحد الثقة في روايته للحديث.

فإن قلتم : يخشى عليه الخطأ في رواية الحديث أو نقله أو ما إلى ذلك قلنا لكم وكذلك يخشى هذا كله في حكم المحدث الواحد على الحديث بالتواتر[٣١٢].

الوجه السادس : أنه يلزمكم أن تردوا أحاديث الأحكام كذلك لأن رواتها هم رواة أحاديث الاعتقاد فكما أنكم لا تصدقونهم في أحاديث الاعتقاد فكذلك لا تصدقوهم في الأحكام فالرواة هم هم في ضبطهم وعدالتهم.

وهذا ورد عن بعض السلف الإشارة إليه فعن عباد بن العوام قال: قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث : (إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان) قلنا : إن قومًا ينكرون هذه الأحاديث – يعني أحاديث النزول – قال : (فما يقولون؟) قلنا : يطعنون فيها فقال: (إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن وبأن الصلوات خمس وبحج البيت وبصوم رمضان فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث)[٣١٣].

وقال الإمام الآجري رحمه الله: (هَذِهِ السُّنَنُ كُلُّهَا نُؤْمِنُ بِهَا ، وَلَا نَقُولُ فِيهَا: كَيْفَ؟ وَالَّذِينَ نَقَلُوا هَذِهِ السُّنَنَ: هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا السُّنَنَ فِي الطَّهَارَةِ ، وَفِي الصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّيَامِ ، الحج، وَالْجِهَادِ ، وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، فَقَبِلَهَا الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ أَحْسَنَ قَبُولٍ ، وَلَا

---

[٣١١] رسالة الألباني ص ١٥.
[٣١٢] رسالة الألباني ص ١٧.
[٣١٣] رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٢٧٣/١ وسنده صحيح.

يَرُدُّ هَذِهِ السُّنَنَ إِلَا مَنْ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَمَنْ عَارَضَ فِيهَا أَوْ رَدَّهَا ، أَوْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَاتَّهِمُوهُ وَاحْذَرُوهُ)[٣١٤].

وقال الإمام السجزي رحمه الله : (ووجدنا رواة هذه الأحاديث أئمة المسلمين وصدورهم وعلماءهم وثقاتهم خلفاً عن سلف، وهم من أهل العدالة الظاهرة، والمرجوع إليهم وإلى فتاويهم في الدماء والفروج، كسفيان الثوري، ومالك بن أنس الأصبحي، وحماد بن زيد الأزدي وسفيان بن عيينة الهلالي، وعبد الله بن المبارك المروزي، وأمثالهم.

وفي طبقة كل من قبلهم وبعدهم من حاله في العلم والعدالة كحالهم، فغير جائز أن يكذب خبرهم)[٣١٥].

الوجه السابع : أن تفريقكم بين الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والأحكام إنما بني على اعتقاد : أن العقيدة لا يقترن معها عمل والأحكام لا يقترن معها عقيدة وهذا باطل بين البطلان.

بيان ذلك : لو أن رجلًا يغتسل ويتوضأ للنظافة أو يصلي ترّيضًا أو يصوم تطببًا أو يحج سياحة لا يفعل ذلك معتقدًا أن الله تبارك وتعالى أوجبه عليه وتعبده به لما أفاده ذلك شيئًا حتى يعتقد أن الله أوجبه عليه ولذلك جعل الله القول في أحكامه غير علم افتراء عليه ولا يخفى أن مسألة الكذب على الله من مسائل الاعتقاد قال تعالى : (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) ثم أيضًا : أفادت الآية أن التحريم والتحليل بدون إذن من الله كذب وافتراء عليه فإذا كنا متفقين على جواز التحليل والتحريم بحديث الآحاد وأننا به ننجو من

[٣١٤] الشريعة ١٠٦٧/٢.
[٣١٥] الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ٢٨١-٢٨٣.

التقول على الله فكذلك يجوز إيجاب العقيدة بحديث الآحاد ولا فرق ومن ادعى الفرقان فعليه البرهان من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ ودون ذلك خرط القتاد[٣١٦].

ثم أيضًا من أحاديث الأحكام ما تضمن مسائل في العقيدة فإنه على قاعدتكم هذه يلزم رد أحاديث الأحكام (الآحادية) التي تضمنت مسائل في الاعتقاد كحديث :(إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[٣١٧].[٣١٨]

الوجه الثامن : ثم أنتم متناقضون فإنكم مما تحتجون به في باب الاعتقاد أحاديث الآحاد :

فمن ذلك استدلالكم في:

- مسألة رؤية الله تبارك وتعالى:

بحديث أبي ذر ﷺ : أن النبي ﷺ لما سئل هل رأيت ربك ؟ قال :(نور أنى أراه)[٣١٩]. — استدل به الخليلي على قوله في مسألة الرؤية [٣٢٠]–

- مسألة القول بخلق القرآن :

بحديث معقل بن يسار ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (البقرةُ سَنامُ القرآنِ وذُروتُه نزل مع كلِّ آيةٍ منها ثمانون ملَكًا واسْتَخرَجت (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) من تحتِ العرشِ فوصَلت بها)[٣٢١]. — استدل به الخليلي أيضًا على قوله في مسألة خلق القرآن[٣٢٢]–

---

[٣١٦] رسالة الألباني ص ١٩-٢٠.
[٣١٧] رواه مسلم ٥٨٨.
[٣١٨] رسالة الألباني ص ٢٢.
[٣١٩] رواه مسلم ١٧٨ وأحمد ٢١٥٢٧ والترمذي ٣٢٨٢ والطيالسي ٤٧٦ والطبراني في الأوسط ٨٣٠٠ واللالكائي ٩١٨ وابن منده في الإيمان ٧٧١ كلهم عن أبي ذر رضي الله عنه ولم يروه عن النبي ﷺ غيره ثم أيضًا قال الطبراني : (لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ إِلَّا الْمُنْذِرُ بْنُ حَبِيبٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُفَضَّلِ) في الأوسط ١٧٠/٨ فالحديث من أخبار الآحاد بلا ريب.
[٣٢٠] الحق الدامغ ص ٩٤ ط ١٤٠٩ هـ.
[٣٢١] رواه أحمد ٢٠٣٠٠ والطبراني في الكبير ٥١١ والروياني ١٣٠٧ كلهم عن معقل بن يسار ومحمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل ١٦٨ عن معقل وعن أبي هريرة وهو حديث ضعيف وانظر تكلم الألباني عليه وبيانه لضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٨٨/١٤ وروى نحوه ابن حبان في الموارد ١٧٢٧ عن طريق سهل بن سعد وسنده ضعيف سلسلة الأحاديث الضعيفة ٥٢٥/٣ فالحديث جمع بين أمرين : آحاد وضعيف وقد تقدم اتهامك لنا بأننا نحتج في الاعتقاد بأحاديث فيها مقال وهذا بيان لك بمن يحتج بها.
[٣٢٢] الحق الدامغ ص ١٧٩.

- في مسألة خلود أهل الكبائر في النار:

بحديث ابن مسعود ﷺ مرفوعًا : (لو قيل لأهلِ النارِ : إِنَّكمْ ماكِثونَ في النارِ عدَدَ كُلِّ حصاةٍ في الدنيا ، لفَرِحُوا بِها ، ولَوْ قيلَ لأَهْلِ الجنَّةِ : إِنَّكُمْ ماكِثونَ بِها عدَدَ كُلِّ حصاةٍ لحزِنوا ، ولَكِنْ جُعِلَ لَهُمُ الأَبَدُ)[٣٢٣]. – استدل به الخليلي[٣٢٤]–

وبحديث معقل بن يسار ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ما مِن عَبْدٍ اسْتَرْعاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْها بنَصِيحَةٍ، إلَّا لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنَّةِ)[٣٢٥]. –استدل به الخليلي على قوله[٣٢٦]–

وبحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا)[٣٢٧]. – استدل به الخليلي[٣٢٨]–

قال تعالى : (وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) [٣٢٩]

وأحاديث أخر استدل بها وهي آحاد لكن أكتفي بما ذُكر فأرجو أن يكون قد تبين لك الحق في المسألة.

---

[٣٢٣] رواه الطبراني في الكبير ١٠٣٨٤ وأبو نعيم في الحلية ١٦٨/٤ والديلمي في الفردوس ٥١٥٤ كلهم عن عبدالله بن مسعود فالحديث آحاد بلا ريب ثم أيضًا زيادة على ذلك هو حديث موضوع أصلًا مكذوب على النبي ﷺ قال أبو نعيم: " تفرد به الحكم بن ظهير" وهذا كذاب كما قال يحيى بن معين فهو كذاب تفرد بالحديث ، قال ابن أبي حاتم عن هذا الحديث : (قَالَ أَبِي: هَذَا حديثٌ مُنكَرٌ) العلل ٥٢٨/٥ وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٧٠/٢-٧١.

[٣٢٤] الحق الدامغ ص ٢٢٤ .

[٣٢٥] رواه البخاري ٧١٥٠ ومسلم ١٤٢ وابن عساكر في معجمه ١٦٣ وابن المبارك في مسنده ٢٦٦ والطبراني في الكبير ٤٧٣ وأحمد في مسنده ٢٠٣١٤ كلهم عن معقل بن يسار ورواه الشهاب القضاعي في مسنده ٨٠٤ عن عبدالرحمن بن سمرة فالحديث حديث آحاد.

[٣٢٦] الحق الدامغ ص ٢٢٤.

[٣٢٧] رواه مسلم ٢١٢٨ وأحمد في مسنده ٨٦٦٥ والبغوي في شرح السنة ٢٥٧٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٣٢٦٠ وابن حبان في صحيحه ٧٤٦١ والطبراني في الأوسط ١٨١١ وأبو يعلى في مسنده ٦٦٩٠ والرامهرمزي في أمثال الحديث ١٤٩ كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ولم يروه أحد عن غيره فالحديث حديث آحاد.

[٣٢٨] الحق الدامغ ٢٢٥.

[٣٢٩] سورة النور ٤٩

الوجه التاسع: من لوازم قولكم إبطال مشروعية الدعوة إلى الله من الآحاد:

فلو أن داعية أو داعيتن خرجا إلى بلد لكي يدعوهم إلى الإسلام لم يقبل قولهما ولم تقم الحجة على المدعوين فيكونون معذورين بجهلهم لأن الإسلام إنما بلغهم عن هذين الداعيتين وهما أخبارها أخبار آحاد فعليه لا يلزمهم أن يؤمنوا بما جاءوا به ، وهذا لا يقوله مسلم!!!.

المسألة التاسعة : عقيدة إبراهيم:

قال (م . ر) في الصفحة الثانية: (وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام قال عند إظهار عقيدته : (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ولم يزد على ذلك)

هذا والله الأمر العجيب جعلتم إبراهيم عليه السلام معطلًا مثلكم!!

قول إبراهيم عليه السلام هذا لا يعني أنه لا يعتقد أن لله صفاتًا تليق به سبحانه ذلك أن ذكره لإيمانه بربه وتوجهه إليه يلزم منه أن يكون مؤمنًا بما أوحى إليه ربه فهو يؤمن برب متصف بصفات تليق به.

هذه عقيدة إبراهيم عليه السلام وله في ذلك عدة مواقف تثبت إيمانه بصفات الله تبارك وتعالى منها:

احتجاجه على المشركين بقوله: (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) وكذلك قال لأبيه: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا).

فاحتج على بطلان آلهتهم بعدم اتصافها بهذه الصفات : فكيف لكم أن تعبدوا ربًا ليس يسمع وليس يبصر وليس ينفع أو يضر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ما ذكره الله عن إبراهيم عليه السلام يدل على أنه كان يثبت ما ينفونه عن الله فإن إبراهيم قال :(إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) والمراد أنه يستجيب الدعاء كما يقول المصلي: سمع الله لمن حمده وإنما يسمع الدعاء ويستجيبه بعد وجوده لا قبل وجوده كما قال تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) فهي تجادل وتشتكي حال سمع الله تحاورهما

وهذا يدل على أن سمعه كرؤيته المذكورة في قوله : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وقال : (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فهذه رؤية مستقلة ونظر مستقل)[٣٣٠].

فيا ترى هل ذكر هذا إبراهيم عليه السلام في الآية؟

نعم ذكره تضمينًا لا تنصيصًا فإن من لوازم إيمانه بالله إقراره بصفاته كما تقدم.

فهل ترى أن من عقيدة إبراهيم ما ذكره الله عنه حال حجاجه للمشركين؟ أم تقول بأنه لم يذكر في الآية (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)؟

إياك إياك وعمل الانتقائية : تأخذ من الآيات ما تريد وتذر منها ما تريد فهي سمة من سمات اليهود (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ).

ثم أيضًا أمر آخر : زعمتم أن عقيدة إبراهيم هي فقط ما ذكره في الآية الآنف ذكرها وتعليلكم لمنع دخول غيرها في عقيدته أنه لم يذكر إلا ذلك.

نقول لكم: هل يعني من ذلك أن إبراهيم لا يؤمن بالملائكة ولا بالرسل ولا باليوم الآخر ولا بحساب ولا بعذاب؟ فإنه لم يذكر في الآية أنه يؤمن بذلك.

فإن قلتم ثبت في نصوص أخرى إثبات إيمانه بها كقوله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ).

فنقول لك : وكذلك ثبت في نصوص أخرى إيمانه بأن لله صفات تليق به.

---

[٣٣٠] جامع الرسائل ٢/٥٤-٥٥.

المسألة العاشرة: حديث: (تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق) واستدلالاتهم به.

قال (م . ر) في الصفحة الثانية: (وعندما أحس النبي ﷺ من بعض الصحابة ما يوسوس به الشيطان قال لهم : (تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق) ففي رواية عن عمرو بن مرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أبصر النبي ﷺ ما لكم؟ قالوا: نتفكر في الخالق فقال لهم: تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق لا تقدرون قدره) وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله عز وجل) أخرجه المحدث الألباني وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره والطبراني في المعجم الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان . وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات من طريق مُحَمَّد بن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في ذات الله) قيل موقوف عليه وخالفهم مُحَمَّد بن الوليد فرواه عن عاصم عن أبيه عن سعيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ مرفوعًا.

وقد قال السخاوي في المقاصد الحسنة اجتماع هذه الأحاديث تكتسب قوة والمعنى صحيح)

نأخذ الأحاديث كل حديث على حدة:

- حديث: (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره)[٣٣١].

والحديث هذا ضعيف لعدة أمور:

١- في سنده "مُحَمَّد بن سعيد العسّال" ولم أجد أحد ترجم له فهو مجهول الحال وحديث مجهول الحال ضعيف[٣٣٢].

---

[٣٣١] رواه أبو الشيخ في العظمة ٢١٤/١ ولم أجد غيره رواه بهذا اللفظ.

[٣٣٢] قال الآمدي: مذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم أن مجهول الحال غيرُ مقبول الرِّواية؛ بل لا بُدَّ من خبرة باطنة بحاله، ومعرفة سيرته، وكَشْف سريرته، أو تزكيته ممَّن عُرِفَت عدالتُه . الإحكام ٧٨/٢.

٢-وحدث مُحَمَّد العسال عن " أَبُو سُلَيْمَانَ السُّغْدِيُّ " ولم أجد أحدًا ترجم له فهو مجهول الحال وحديث مجهول الحال ضعيف فهو مجهول حال روى عن مجهول حال مثله.

٣-وفي سنده " سَيْفُ ابْنُ أُخْتِ سُفْيَانَ" وهذا كذاب يضع الحديث[٣٣٣].

فتبين بهذا أن الحديث ضعيف بل وموضوع ففيه كذاب ومجهوليّ حال.

- حديث : (أبصر النبي ﷺ ما لكم؟ قالوا: نتفكر في الخالق فقال لهم: تفكروا في خلقه ولا تتفكروا في الخالق لا تقدرون قدره)[٣٣٤].
- في سنده عبدالحميد بن يحيى الحماني: (صدوق يخطئ) وخالفه في رواية الحديث أبو أسامة حماد بن أسامة فرواه عن عمرو بن مرة عن النبي ﷺ هكذا مرسلًا[٣٣٥] ورواه مثله مرسلًا أيضًا مُحَمَّد بن عبيد الطنافسي[٣٣٦] .

والراجح أن الحديث مرسل لأن أبا أسامة ثقة ثبت متفق عليه وكذلك مُحَمَّد بن عبيد الطنافسي ثقة أيضًا فروايتهم للحديث مرسلًا مقدمة على رواية عبدالحميد الحماني لأنهما أوثق منه وأثبت.

فالصحيح أن الحديث مرسل وعليه فهو حديث ضعيف.

- حديث: (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله عز وجل)[٣٣٧].
- في سند الحديث " الوازع بن نافع "

قال البخاري عنه : (منكر الحديث) وقال النسائي وغيره: متروك بل قال الحاكم وغيره: (روى أحاديث موضوعة)[٣٣٨].

- حديث: (تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في ذات الله)[٣٣٩].

---

[٣٣٣] قال الإمام أحمد: سيف بن أخت سفيان الثَّوْريّ يضع الحديث. انظر ابن عدي في الكامل ٥٠٢/٤ وقال ملك المحدثين الفتني عنه : (كذاب) تذكرة الموضوعات ص ٢٠٨.

[٣٣٤] رواه إسماعيل الأصبهاني في الترغيب والترهيب ٦٧٠ ولم أجد غيره رواه بهذا اللفظ.

[٣٣٥] رواه إسماعيل الأصبهاني في الترغيب والترهيب ٦٧٢.

[٣٣٦] الزهد لهناد السري ٤٦٩/٢.

[٣٣٧] رواه الطبراني في " الأوسط " (٦٤٥٦) والبيهقي في الشعب ١ / ٧٥ .

[٣٣٨] سلسلة الأحاديث الضعيفة وضعفه الألباني فيها ٣٩٥/٤.

وسند الحديث: عاصم بن علي حدثنا أبي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا.

- قال الألباني رحمه الله: (وهذا إسناد ضعيف عطاء كان اختلط. وعاصم بن علي وأبوه فيهما ضعف، وابنه خير منه)[٣٤٠].

تبين مما تقدم أن الحديث ضعيف جدًا ويتراوح ما بين موضوع وضعيف ضعفا شديدا.

لكن قال بعض أهل العلم قد يكون للحديث أصل.

هذا الحديث من جهة الرواية.

وأما الحديث من جهة الدراية:

أنه لا منافاة بين عقيدتنا – نحن أهل السنة والجماعة – وهذا الحديث:

ذلك أن المقصود بالحديث – إن صح – لا تتفكروا في كيفية هذه الصفات ولا في هيئتها لأن ذلك غير معلوم عندنا وقد يفضي إلى أمور لاتحمد عقباها فإن للعقل حدًا وغاية ينتهي إليها كما للبصر حدٌ وغاية ينتهي إليها لا يجاوزها.

ودليل ذلك: أن الشرع أتى بإثبات الصفات لله تبارك وتعالى ولو كان نهيه عن التفكر في الله المراد به ترك كل ما يتعلق بصفات الرب تبارك وتعالى لما أتنا بما يفتح علينا هذا الباب من وصف الله بهذه الصفات.

ثانيًا: أن من هو خير مني ومنك أئمة الإسلام من لدن رسول الله ﷺ وصحابته مرورًا بالعلماء في كل عصر وزمن قد فهموا لهذه الصفات معانٍ كما تقدم بيان ذلك.

---

[٣٣٩] رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٤٢٠.
[٣٤٠] سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٩٧/٤.

ثالثًا: أن من الأحكام الشرعية ما تعلق حكمه على فهم صفة من صفات الله كما تقدم في آيات حد الحرابة ولا يتأتى معرفة الحكم إلا بمعرفة معنى الصفة التي علق بها.

رابعًا: أن التفكر في خلق الله – الذي أمرنا به في الحديث – يدلنا على صفات لله سبحانه وتعالى فإذا رأيت كونًا ذا إتقان محكم وخلقًا ذا حسنٍ بالغ في الإحسان مبلغه علمت أن هذا إنما صدر من رب متصف بالقدرة على الخلق وبالعلم الواسع وبالحكمة حيث ما من شيء خلقه الله إلا وفيه حكمة ومتصف بالغنى حيث أعطى كلًا من خلقه رزقهم ومتصف بالقوة ومتصف بالعزة ومتصف بالكرم وهكذا...

ولو كان المقصود بالنهي عن التفكر في الله ترك كل ما يتعلق بصفاته لكان في الحديث تناقضًا فإن أوله متضمن للأمر بالتفكر فيما يدل على صفاته وآخره متضمن للنهي عن كل ما يتعلق بصفاته.

ولكن ليس الأمر كذلك.

ومما يدل على أن التفكر في خلق الله دال على الله وعلى صفاته (الشرع والحس):

فأما الشرع: فالنصوص فيه كثيرة أذكر بعضها:

- قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

* وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)

لاحظ أنه جعل من آيات الله ما يدل على صفاته: (خَلَقَكُم) و(وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ) و(وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ) و(فَيُحْيِي بِهِ) و(دَعَاكُمْ) فكل هذه دالة على صفات الله وجعلها الله من آياته.

- قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ).

انظر: (يَشَأْ) و(يُسْكِنِ) و(يُوبِقْهُنَّ) و(يَعْفُ).

والآيات في ذلك كثيرة أكتفي بما ذكرت.

وأما الحس :

فمن الشواهد عليه:

- كما ينقل عن لبيد بن ربيعة[٣٤١] قوله:

فَيا عَجَباً كَيفَ يُعصى الإِلَهُ ..... أم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ..... تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ

وَلِلَّهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ ..... وَتَسكينَةٍ أَبَداً شاهِدُ

- وقال أبو نواس:

تأمَّلْ فِي رَبِيعِ الأَرْضِ وانْظُرْ ... إلى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ

[٣٤١] ويروى عن أبي العتاهية أيضًا.

عُيونٌ مِن لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ ... كَأنَّ حداقِها ذَهَبٌ سَبِيكُ

على قَضبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدات ... بأَنَّ الله لَيسَ لَهُ شَرِيكُ

- وقال بعض العرب حينما سئل بما عرفت ربك؟ قال: (البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على وجود الصانع الخبير).

وممن نص على أن المقصود بالنهي في الحديث هو النهي عن التفكر في كيفية صفات الله وهيئتها الإمام الصنعاني رحمه الله إذ يقول: ((تفكروا في خلق الله) أي فيما بثه في الأكوان من الأنفس ونحوها. (ولا تفكروا في الله) أي في ذاته وماهية صفاته)[٣٤٢].

[٣٤٢] التنوير شرح الجامع الصغير ٨٢/٥.

المسألة الحادي عشر: السؤال عن الله بكيف ولم ومتى وأي وأين:

قال (م . ر) في الصفحة الثالثة: (وقد منع العلماء السؤال عن الله بكيف ولما وهل ومتى وأي وأين وغيرها لدلالتها على الحدوث – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – ولعلهم متمسكون بقوله تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)).

وبهذا الكلام لبست الحق بالباطل فنبين كل لفظة على حدة:

حكم السؤال عن الله بـ:

- (لِمَ) لا يجوز السؤال عن الله بها لأن الله تبارك وتعالى قال: (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)
- (كيف) لا يجوز السؤال عن الله بها لأن العلم بكيفية صفات الله غير ممكن والسؤال عن الله بهذا بدعة كما تقدم من قول مالك: (والسؤال عنه – أي : بكيف – بدعة) وقد قال تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)
- (هل) على حسب ما سيقت له فإن سيقت في موضع لا يليق السؤال عن الله به منع من استعمالها وإن سيقت في غيره جاز.

ومما ورد في السنة دالًا على ذلك حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : أنَّ ناسًا في زَمَنِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، هلْ نَرَى رَبَّنا يَومَ القِيامَةِ؟ قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: (نَعَمْ)[٣٤٣].

ثم أيضًا ينبغي أن يعلم بأن الهمزة دالة على معنى هل[٣٤٤] وقد سئل عن الله بها:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: بيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ علَى جَمَلٍ، فأناخَهُ في المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قالَ لهمْ: أيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ والنبيُّ صَلَّى اللهُ

[٣٤٣] رواه مسلم ١٨٣.
[٣٤٤] المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ٤٣٧ والجنى الداني لابن أم قاسم المرادي ٣٤١

عليه وسلَّمَ مُتَّكِئٌ بيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ، فَقُلْنا: هذا الرَّجُلُ الأبْيَضُ المتَّكِئُ. فقالَ له الرَّجُلُ: يا ابْنَ عبدِ المطَّلِبِ فقالَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قدْ أجَبْتُكَ. فقالَ الرَّجُلُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنِّي سائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ في المسْألَةِ، فلا تَجِدْ عَلَيَّ في نَفْسِكَ. فقالَ: سَلْ عَمَّا بَدا لكَ فقالَ: أسْألُكَ برَبِّكَ ورَبِّ مَن قَبْلَكَ، آللَّهُ أرْسَلَكَ إلى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فقالَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ). قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ نُصَلِّيَ الصَّلَواتِ الخَمْسَ في اليَومِ واللَّيْلَةِ؟ قالَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ). قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ نَصُومَ هذا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قالَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ). قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ تَأْخُذَ هذِه الصَّدَقَةَ مِن أغْنِيائِنا فَتَقْسِمَها علَى فُقَرائِنا؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ). فقالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بما جِئْتَ به، وأنا رَسولُ مَن ورائِي مِن قَوْمِي، وأنا ضِمامُ بنُ ثَعْلَبَةَ أخُو بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرٍ.

- (متى) إن استعملت استعمالًا ليس فيه امتهان لحق الله واستنقاص له فلا بأس به كأن يسأل متى ينزل الله كل ليلة؟ فلا بأس بالسؤال هذا لأنه وردت السنة بالإجابة عنه ففي الحديث الصحيح : (ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الأخير)[٣٤٥].
- (أي) وهذه ثبتت بنص القرآن قال تعالى : (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ).
- (أين) وهذا جائز لأن النبي ﷺ سأل الجارية بقوله: (أين الله؟).

وسيأتي الكلام عن حديث الجارية لاحقا لأهميته

[٣٤٥] رواه البخاري ١١٤٥ ومسلم ٧٥٨.

المسألة الثانية عشر : صفة العلو:

أنكر (م . ر) صفة العلو لله سبحانه وتعالى في الصفحة الثالثة والرابعة والخامسة.

والكلام في هذه المسألة طويل لكن أذكر ما يتيسر:

أولًا : التعريف بمعنى العلو:

العلو لغة: السمو والارتفاع .

يقال: علا النهار أي : ارتفع وعلا فلانٌ الجبل: إذا رقيه.

وعلو الله يكون : علو ذات وعلو صفات.

فأما علو الصفات فمتفق عليه عمومًا بين المسلمين بأن الله سبحانه وتعالى متصف بصفات كمال.

وعلو الذات اختلف الناس فيه اختلافًا كبيرًا وعليه مدار كلامنا في هذه المسألة.

ثانيًا: أقوال الناس في علو الله:

القول الأول: القول بأن الله بذاته في كل مكان كما يقول ذلك كثير من الجهمية وعبّادهم وصوفيتهم وعوّامهم[٣٤٦].

القول الثاني: القول بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت فينكرون علوه مطلقًا ويقولون: ليس فوق العالم شيء أصلًا ولا فوق العرش شيء وهذا قول المعتزلة وبعض الجهمية وطوائف من متأخري الأشعرية والفلاسفة النفاة والقرامطة الباطنية وغير هؤلاء[٣٤٧].

---

[٣٤٦] مجموع الفتاوى ١٢٣/٥ ، ٢٧٢.
[٣٤٧] مجموع الفتاوى ١٢٢/٥.

والقول الأول هو الغالب على عامة الجهمية وعبادهم ... والقول الثاني هو الغالب على نظارهم ومتكلميهم وأهل البحث منهم والقياس فيهم ومن الجهمية من يجمع القولين[٣٤٨].

القول الثالث: قول من يقول هو فوق العرش وهو في كل مكان ويقول: أنا أقر بهذه النصوص وهذه ولا أصرف واحدًا منها عن ظاهره وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعري[٣٤٩] وهو موجود في كلام طائفة من السالمية والصوفية ... وهم غالطون وإن زعموا الجمع بين النصوص[٣٥٠].

القول الرابع: قول أهل السنة والجماعة: وهم يثبتون أن الله تعالى فوق خلقه عالٍ عليهم مستويًا على العرش.

والقول الصواب الذي لا يصح غيره هو قول أهل السنة والجماعة لأدلتهم القوية فأذكرأدلتهم وما يتعلق بها ثم أذكر الرد على نفاة العلو وأدلتهم عمومًا.

ثالثًا: أدلة مثبتي العلو:

إن أدلة أهل السنة على إثبات علو الله كثيرة جدًا بل هي من المتواتر :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء (ثم ذكر جملة من الأدلة) إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة.

---

[٣٤٨] درء التعارض ٢٨٨/١٠-٢٨٩ ومجموع الفتاوى ١٩٦/٥ .
[٣٤٩] مقالات الإسلاميين ١٥٧/١ و٣٥١.
[٣٥٠] مجموع الفتاوى ١٢٤/٥-١٢٥.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى (ثم ذكر جملة من الأحاديث) إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علمًا يقينيًا من أبلغ العلوم الضرورية: أن الرسول ﷺ المبلّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئات، أو ألوفًا ....)[٣٥١].

ونقل رحمه الله عن بعض أكابر أصحاب الشافعي أنه قال: (في القرآن ألف دليل أو يزيد على أن لله تعالى عالٍ على الخلق وأنه فوق عباده وقال غيره: (فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك ...)[٣٥٢].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في النونية واحدًا وعشرين نوعًا من أنواع الأدلة وتحت كل نوع عدة أدلة[٣٥٣].

وقد أفرد جمعٌ من أهل العلم في إثبات علو الله مصنفات كثيرة : ككتاب العرش وما روي فيه للحافظ مُحَمَّد بن عثمان بن أبي شيبة وكتاب إثبات صفة العلو لابن قدامة واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم وكل ما صنف أهل العلم في العقيدة فقد ذكروا فيه هذه المسألة العظيمة.

إليك الأدلة:

أولًا: الأدلة النقلية:

ومنها ما يلي:

---

[٣٥١] الفتوى الحموية ص ٢٢٠.
[٣٥٢] مجموع الفتاوى ١٢١/٥- ٢٢٦.
[٣٥٣] النونية مع شرح ابن عيسى ٣٩٦/١-٥٣٤.

- التصريح بالفوقية مقرونة بأداة (مِن) المعيّنة لفوقية الذات نحو:

قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ).

- ذكر الفوقية مجردة عن الأداة نحو:

قوله تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ).

- التصريح برفع الأعمال إليه نحو:

حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ)[٣٥٤].

- التصريح بالعروج إليه نحو:

قوله تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ).

وقول النبي ﷺ : (فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم)[٣٥٥].

- حديث المعراج حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: (ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟)[٣٥٦].

- التصريح بالصعود إليه نحو:

قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ).

---

[٣٥٤] رواه مسلم ٢٩٣.
[٣٥٥] أخرجه البخاري ٧٤٨٦ ومسلم ٦٣٢ واللفظ له.
[٣٥٦] رواه البخاري ٣٨٨٧ ومسلم ٢٥٩.

- حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)[٣٥٧].

- التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه نحو:

قوله تعالى: (بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ).

وقوله تعالى: (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ).

- التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا نحو:

قوله تعالى: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ).

وقوله تعالى: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ).

وقوله تعالى: (إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ).

- التصريح بتنزيل الكتاب منه نحو:

قوله تعالى: (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).

قوله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ).

- التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض نحو:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ).

وقوله تعالى: (وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ).

[٣٥٧] رواه البخاري ١٣٤٤ ومسلم ١٠١٤.

ففرّق بين من له ملكه عمومًا ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصًا وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)[٣٥٨].

- التصريح بأنه سبحانه وتعالى في السماء وهذا عند أهل السنة والجماعة على أحد وجهين : إما أن تكون (في) بمعنى (على) وإما أن يراد بالسماء العلو ، لا يختلفون في ذلك ولا يجوز حمل النص على غيره[٣٥٩].

ومثاله قوله تعالى: (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ).

- حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا)[٣٦٠].
- حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رصي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٣٦١].
- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً)[٣٦٢].

فـ(في) هنا بالآية والأحاديث تكون بأحد المعنيين السابقين:

ومما يدل على أن (في) تأتي بمعنى (على) قوله تعالى: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ).

والمقصود : لأصلبنكم على جذوع النخل.

ومثله قوله تعالى: (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ).

---

[٣٥٨] رواه البخاري ٧٤٠٤.
[٣٥٩] النونية ٤١٧/١.
[٣٦٠] رواه البخاري ٣٠٦٥ ومسلم ١٤٣٦.
[٣٦١] رواه أحمد ٦٤٩٤ والترمذي ١٩٢٤ وأبو داود ٤٩٤١ وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
[٣٦٢] رواه البخاري برقم ٤٣٥١ ومسلم برقم ١٠٦٤.

والمقصود : فسيحوا على الأرض.

ومما يدل على السماء يراد بها العلو قوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ).

والمقصود : ينزل من العلو لأن الماء لا ينزل من السماء نفسها بل من السحاب[٣٦٣].

- التصريح بالاستواء مقرونًا بأداة (على) مُخْتَصًّا بِالْعَرْشِ، الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ، مُصَاحِبًا فِي الْأَكْثَرِ لِأَدَاةِ ((ثُمَّ)) الدَّالَّةِ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالْمُهْلَةِ[٣٦٤].
- التَّصْرِيحُ بِرَفْعِ الْأَيْدِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى نحو:

قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا)[٣٦٥].

- التَّصْرِيحُ بِنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَالنُّزُولُ الْمَعْقُولُ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ.

ونصوص النزول كثيرة جدًا منها: حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له)[٣٦٦].

- الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ حِسًّا إِلَى الْعُلُوِّ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِرَبِّهِ وَبِمَا يَجِبُ لَهُ وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَشَرِ، لَمَّا كَانَ بِالْمَجْمَعِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ، فِي الْيَوْمِ الْأَعْظَمِ، فِي الْمَكَانِ الْأَعْظَمِ، قَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا. نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَرَفَعَ أُصْبَعَهُ الْكَرِيمَةَ إِلَى السَّمَاءِ رَافِعًا لَهَا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهَا وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، قَائِلًا: اللَّهُمَّ اشْهَدْ[٣٦٧].

---

[٣٦٣] راجع فتح رب البرية للعلامة ابن عثيمين رحمه الله ص ٣٨.
[٣٦٤] وسيأتي ذكر أمثلته في مسألة الاستواء –إن شاء الله-.
[٣٦٥] رواه أبو داود في سننه برقم ١٤٨٨ والترمذي في جامعه برقم ٣٥٥٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وصحيح الترغيب والترهيب.
[٣٦٦] أخرجه البخاري (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم (٧٥٨).
[٣٦٧] رواه مسلم برقم ١٢١٨.

- التَّصْرِيحُ بِلَفْظِ " الْأَيْنَ "كَقَوْلِ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِهِ، وَأَنْصَحِهِمْ لِأُمَّتِهِ، وَأَفْصَحِهِمْ بَيَانًا عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ، بِلَفْظٍ لَا يُوهِمُ بَاطِلًا بِوَجْهٍ: " أَيْنَ اللَّهُ"كحديث الجارية وشَهَادَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ قَالَ إِنَّ رَبَّهُ فِي السَّمَاءِ – بِالْإِيمَانِ[٣٦٨].
- إِخْبَارُهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ رَامَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ، لِيَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى فَيُكَذِّبَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَقَالَ: (يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا) فَمَنْ نَفَى الْعُلُوَّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ فَهُوَ فِرْعَوْنِيٌّ المعتقد.

ومن الأدلة النقلية أيضًا: آثار السلف من الصحابة وبقية القرون المفضلة بعدهم:

- عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: (ويلٌ لديَّان الأرض من ديَّان السماء يوم يلقونه ؛ إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقضِ على هوى ولا على رغب ولا على رهب وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه)[٣٦٩].
- وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش ﷺ قالت: (زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات)[٣٧٠].
- عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (إذا حدثتكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن العبد المسلم إذا قال : الحمدلله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله ، قبض عليهن ملَك جعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن تعالى) ثم قرأ عبدالله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[٣٧١].

---

[٣٦٨] كما في حديث الجارية وسيأتي –إن شاء الله-.
[٣٦٩] رواه أحمد في الزهد ٦٦١ وابن أبي شيبة في المصنف ٢٣٤١٦ والدارمي في الرد على المريسي ١٣٣ والبيهقي في السنن الكبرى ١١٧/١٠ وسنده صحيح.
[٣٧٠] رواه البخاري ١٠٠.
[٣٧١] رواه الطبراني في الكبير ٩١٤٤ بسند حسن وله طريق آخر قوي عند الحسين المروزي في زيادات الزهد لابن المبارك ١١١٧ والأثر صحيح.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعائشة ﵂: (فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ)[٣٧٢].
- قال علي بن الأقمر : كان مسروق إذا حدّث عن عائشة ﵂ قال: (حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق ﵂ حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سماوات)[٣٧٣].
- وعن سليمان التيمي رحمه الله أنه قال:

(لو سُئلتُ أين الله؟ لقلت: في السماء)[٣٧٤].

- عن الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله: (نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية)[٣٧٥].
- قال مالك إمام دار الهجرة رحمه الله: (الله في السماء وعلمه في كل مكان)[٣٧٦].

ثم أيضًا:

قد أجمع العلماء على إثبات علو الله تبارك وتعالى وإليك بعض من حكاه[٣٧٧]:

- عن أبي عمرو الأوزاعي رحمه الله (ت ١٥٧ هـ) قال:

(كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى: فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)[٣٧٨].

- عن سعيد بن عامر الضبعي ، أبو مُحَمَّد البصري رحمه الله (ت ٢٠٨هـ) أنه قال عندما ذكر له الجهمية:

---

[٣٧٢] رواه البخاري ٤٧٥٣.
[٣٧٣] أخرجه الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ٢٤٨/٢ وابن قدامة في إثبات العلو رقم ٦٨ والطبراني في الأوسط ٥٤١١ وابن سعد في الطبقات ٦٦/١٠ وسنده صحيح.
[٣٧٤] رواه اللالكائي ٦٧١ وابن قدامة في إثبات العلو رقم ٧٥ بإسناد صحيح.
[٣٧٥] أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة رقم ٢٢ والدارمي في الرد على الجهمية ١٦٢ وسنده صحيح.
[٣٧٦] رواه أحمد في السنة ٥ وأبو داود في مسائل الإمام أحمد ٢٦٣ وغيرهم بسند صحيح.
[٣٧٧] قال ابن القيم رحمه الله: (وأما من نقل إجماع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين فأكثر من أن يذكر ولكن ننبه على اليسير منه) الصواعق المرسلة ١٢٨٣/٤.
[٣٧٨] رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٥١٥ قال شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي: (إسناده صحيح) بيان تلبيس الجهمية ٢٧٠/١ وتذكرة الحفاظ ١٨١/١ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وأخرج البيهقي بسند جيد) ثم ذكره فتح الباري ٤٠٦/١٣.

(هم شر قولًا من اليهود والنصارى ، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله فوق العرش وقالوا : هو ليس عليه شيء)[٣٧٩].

- وعن الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله (ت ٢٣٨ هـ) قال:

(قال الله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة)[٣٨٠].

- وعن الإمام ابن قتيبة رحمه الله (ت ٢٧٦هـ) قال:

(والأمم كلها عربيها وعجميها تقول: إن الله في السماء ما تُرِكت على فطرها ولم تنقل عن ذلك بالتعليم)[٣٨١].

- وعن الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله (ت ٢٨٠ هـ) أنه قال:

(وقد اتفقت كلمة المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه ، فوق سماواته)[٣٨٢].

وقال أيضًا: (وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله تعالى في السماء وحّدوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه)[٣٨٣].

- وعن ابن بطة العُكبري رحمه الله (ت ٣٨٤ هـ) أنه قال:

(وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائنٌ من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ، لا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية)[٣٨٤].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

---

[٣٧٩] تقله عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥٢/٥ وفي درء التعارض ٢٦١/٢ وعزاه لابن أبي حاتم في الرد على الجهمية.
[٣٨٠] العلو للذهبي ص ١٧٩.
[٣٨١] تأويل مختلف الحديث له ص ٢٥٢-٢٥٣.
[٣٨٢] الرد على المريسي ص ٣٤٠/١.
[٣٨٣] المرجع السابق ٢٢٨/١.
[٣٨٤] الإبانة ١٣٦/٣.

(فإن القول بأن الله فوق العرش هو مما اتفقت عليه الأنبياء كلهم وذكر في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها من جميع الطوائف وجميع طوائف الصفاتية تقول بذلك وقدماء الأشعرية وأئمتهم والكرامية وقدماء الشيعة الإمامية ، وغيرهم)[٣٨٥].

- وقال ابن القيم رحمه الله: (إن الآيات والأخبار الدالة على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه تقارب الألوف وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم)[٣٨٦].

ومن حكوه كثيرون منهم غير من تقدم:

أبو عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩ هـ) وأبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)[٣٨٧] والسجزي (ت ٤٤٤ هـ) والصابوني (ت ٤٤٩ هـ)[٣٨٨] وابن عبدالبر (ت ٤٦٣ هـ)[٣٨٩] وابن قدامة (ت ٦٢٠ هـ)[٣٩٠] والذهبي (ت ٧٤٨ هـ)[٣٩١] وغيرهم خلق كثير[٣٩٢].

دليل العقل:

دل العقل على علو الله تبارك وتعالى من وجوه اذكر منها وجهين:

الوجه الأول: (دليل السبر والتقسيم) أن الله خلق هذا الكون بعد أن لم يكن فلا يخلو ؛ إما أن يكون خلقه في نفسه أو خارجًا عن نفسه ، والأول باطلٌ بالاتفاق لأنه يلزم أن يكون محلًا لما لا يليق ذكره تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وهكذا القول بأنه خلقه خارجا عنه ثم

---

[٣٨٥] بيان تلبيس الجهمية ٢/٩-١٠.
[٣٨٦٣٨٦] الصواعق المسلة ١/٣٦٨.
[٣٨٧] مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٦٠.
[٣٨٨] عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ٤٤.
[٣٨٩] التمهيد ٧/١٢٩-١٣١.
[٣٩٠] إثبات صفة العلو ص ٤٣.
[٣٩١] العلو ١٤٣.
[٣٩٢] انظرهم أيضًا في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي رحمه الله.

دخل فيه فهذا محال أيضًا ؛ تعالى أن يحل في خلقه وهذه والتي قبلها لا نزاع فيهما بين المسلمين فبقي أنه خارج عن نفسه فيكون منفصلًا فتعينت المباينة وهذا هو الحق.

الوجه الثاني: أن كل متقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص فإن الله سبحانه يوصف بالكمال منهما دون النقص ولهذا لما تقابل الحياة والموت وصف بالحياة دون الموت وهكذا العلم والقدرة والكلام.

فلما تقابلت المباينة للعالم والمداخلة له وصف بالمباينة دون (المداخلة) وإذا كانت المباينة تستلزم علوه على العالم أو سفوله عنه وتقابل العلو والسفل وصف بالعلو دون السفول ، وإذا كان مباينًا للعالم كان من لوازم مباينته أن يكون فوق العالم ولما كان العلو صفة كمال كان ذلك من لوازم ذاته فلا يكون مع وجود العالم إلا عاليًا عليه ضرورة[٣٩٣].

دليل الفطرة:

أن من الثابت قطعًا والمعروف عن الخلق جميعًا أنهم بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى ، وهذا أمر مستقر في فِطَرِ بني آدم ، معلوم لهم بالضرورة [٣٩٤].

وفي هذا المقام أذكر ما جرى بين أبي المعالي الجويني وأبي جعفر الهمذاني لما عارضه وهو يقرر نفي العلو ، فقال له الهمذاني: (دعنا مما تقول: ما هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ما قال عارفٌ قط ، يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا) قال: فصرخ أبو المعالي ووضع يده على رأسه وقال: (حيرني الهمداني حيرني الهمداني) أو كما قال ونزل[٣٩٥].

---

[٣٩٣] الصواعق المرسلة ١٣٠٧/٤.
[٣٩٤] إثبات صفة العلو لابن قدامة ص ٤١-٤٢.
[٣٩٥] العلو للذهبي ص١٨٨ وابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤٤/٤ وصحح إسناد القصة الألباني في مختصر العلو ص ٢٧٧.

قال ابن عبدالبر رحمه الله: (وَمِنَ الْحُجَّةِ أَيْضًا فِي أنه عز وجل على العرش فوق السموات السَّبْعِ أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ أَجْمَعِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ إِذَا كَرَبَهُمْ أَمْرٌ أَوْ نَزَلَتْ بِهِمْ شِدَّةٌ رَفَعُوا وُجُوهَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهَذَا أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ فِيهِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ حِكَايَتِهِ لِأَنَّهُ اضْطِرَارٌ لَمْ يُؤَنِّبْهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ ...)[٣٩٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا تجد المنكر لهذه القضية يقر بها عند الضرورة، ولا يلتفت إلى ما اعتقدوه من المعارض لها.

فالنفاة لعلو الله إذا حزب أحدهم شدة وجه قلبه إلى العلو يدعو الله.

ولقد كان عندي من هؤلاء النافين لهذا من هو من مشايخهم، وهو يطلب مني حاجة، وأنا أخاطبه في هذا المذهب كأني غير منكر له، وأخرت قضاء حاجته حتى ضاق صدره، فرفع طرفه ورأسه إلى السماء، وقال: يا الله، فقلت له: أنت محق، لمن ترفع طرفك ورأسك؟ وهل فوق عندك أحد؟ فقال: أستغفر الله، ورجع عن ذلك لما تبين له أن اعتقاده يخالف فطرته، ثم بينت له فساد هذا القول: فتاب من ذلك، ورجع إلى قول المسلمين المستقر في فطرهم)[٣٩٧].

رابعًا: لوازم نفي صفة العلوعن الله تبارك وتعالى:

- إنكار وجود الله: فإن من نفى أن الله لا داخل العالم ولا خارجه فهو يصف معدومًا. وقد نص على ذلك جماعة من السلف منهم:

---

[٣٩٦] التمهيد ٣٤/٧.
[٣٩٧] درء التعارض ٣٤٣/٦-٣٤٤.

الإمام أحمد رحمه الله إذ يقول عن الجهمية لما أنكروا علو الله قالوا بأنه لا داخل العالم ولا خارجه: (قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء ، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه ...)[٣٩٨].

- لما نفوا العلو عن الله تنزيهًا له وقعوا في شر مما يظنون :

فأثبتوا وجود الله في ما يتنزه أحدهم ويأنف أن يُذكر ويوصف بوصفه في هذا المكان من أماكن القاذورات والنجاسات الخسيسة ونحوها.

تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

- محادة الله ورسوله في إثباتهما صفة العلو لله.
- التعدي على النصوص بفهمها على خلاف فهم السلف رضوان الله عليهم.
- شبهوا الله بخلقه لما ظنوا أن لازم علوه أن يكون كعلو المخلوقات وجعلوا ما يلزم من علو المخلوقات لازمًا لعلو الله فقالوا : يلزم منه التجسيم والحاجة ونحوها من اللوازم التي لا تلزم إلا إن كان المتصف بصفة العلومخلوقًا لكن الله أثبت العلو لنفسه ونفى عنه المثيل فأنتم شبهتم الله بخلقه أولًا ثم عطلتم ثانيًا – عياذًا بالله –.

وليس المراد هنا حصر اللوازم وإنما ذكر نبذ منها فحسب.

خامسًا: أدلة نفاة العلو والجواب عنها :

استدلوا بعدة أدلة أذكر أقوى ماعندهم وهي مما استدل به صاحب الرسالة:

وقبل ذلك ينبغي أن نبين أنه ليس لديهم ولا دليل واحد صحيح صريح ينفي صفة العلو وإنما استدلالاتهم بضعيف أو صحيح غير صريح.

[٣٩٨] الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٠٦ وانظر كلام جمع من السلف في إثبات هذا اللازم عليهم تجده في : التدمرية ص٦٠ والفتوى الحموية ٣٣٥ وما بعدها والصواعق المرسلة ١٢٣٣/٤-١٢٣٥..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قول المخالفين لأهل السنة في مسألة العلو: (ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا التابعين ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصًا ولا ظاهرًا)[٣٩٩].

ومما استدلوا به :

الدليل الأول: قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ).

فقالوا: هذه الآية دليل على أن الله تعالى في كل مكان.

وهذا استدلال باطل وساقط:

ذلك أن المراد بالآية أنه معبود في السماء ومعبود في الأرض:

وعلى هذا إجماع المسلمين:

قال ابن عبد البر رحمه الله: (وأما قوله في الآية الأخرى: (وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) فالإجماع والاتفاق قد بيّن المراد بأنه معبودٌ من أهل الأرض فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله)[٤٠٠].

وقال أيضًا عن هذا التفسير: (وكذلك قال أهل العلم بالتفسير)[٤٠١].

وقال الآجري في معنى الآية: (أنه جل ذكره إله من في السماوات وإله من في الأرض ، إله يُعبد في السماوات وإله يُعبد في الأرض هكذا فسره العلماء)[٤٠٢].

---

[٣٩٩] الفتوى الحموية ص ٢٣٢.
[٤٠٠] التمهيد ١٣٤/٧.
[٤٠١] التمهيد ١٢٧/٦.
[٤٠٢] الشريعة ١١٠٤/٣.

قال مرعي الكرمي المقدسي رحمه الله: (وأما قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) فهو باتفاق المفسرين بمعنى: مألوه – أي معبود – فإنه معبود بهما)[٤٠٣].

وانظر لتعرف أن هذا هو التفسير الصحيح للآية :

تفسير الطبري[٤٠٤] وتفسير البغوي[٤٠٥] وتفسير ابن كثير[٤٠٦]وتفسير السمعاني[٤٠٧] وتفسير الواحدي[٤٠٨] وتفسير الزجاج[٤٠٩] وتفسير ابن الجوزي[٤١٠] وتفسير السمرقندي[٤١١] إلى آخره من كتب التفاسير.

وهذا كقولكم : السلطان هيثم سلطان في مسقط وعبري وهيماء فهل يلزم من ذلك وجوده في كل واحدة منها ؟!

قال ابن قتيبة رحمه الله مبينًا معنى الآية وموجهًا له توجيهًا في لغة العرب:

(وأما قوله (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) فليس في ذلك ما يدل على الحلول بهما وإنما أراد به : أنه إله السماء وإله من فيها وإله الأرض وإله من فيها ، ومثل هذا الكلام قولك: هو بخراسان أمير وبمصر أمير فالإمارة تجتمع له فيهما وهو حالٌّ بإحداهما أو بغيرهما وهذا واضح لا يخفى)[٤١٢].

فـ (الإله) معناها المعبود.

فمعنى الآية : وهو الذي في السماء معبود وفي الأرض معبود.

---

[٤٠٣] أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ص ١٠٥.
[٤٠٤] جامع البيان ٢١٧/١١.
[٤٠٥] معالم التنزيل ١٤٧/٤.
[٤٠٦] تفسير القرآن العظيم ٢٠٧/٤.
[٤٠٧] ١١٩/٥.
[٤٠٨] الوجيز ٩٧٩.
[٤٠٩] معاني القرآن وإعرابه ٤٢١/٤.
[٤١٠] زاد المسير ٨٥/٤.
[٤١١] بحر العلوم ٢٦٦/٣.
[٤١٢] تأويل مختلف الحديث ص ٢٥٣.

والدليل على أن الإله معناه المعبود:

قوله تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ) قال أبو الهيثم بعد ذكره لهذه الآية: (ولا يكون إلهًا حتى يكون معبودًا ...)[٤١٣].

وقوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) وفي قراءةٍ لابن عباس رضي الله عنهما: (ويذرك وإلهتك) أي وعبادتك[٤١٤].

ومنه قول رؤبة بن العجاج:

لله درُّ الغانيات المدّه

سبّحن واسترجعن من تألهي

أي : من تعبدي[٤١٥].

قال الزمخشري: (الإله: من أسماء الأجناس كالرجل والفرس ، يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم على المعبود الحق)[٤١٦].

قال الفيروزآبادي : (أله يأله ألوهة وألوهية: عبد عبادة)[٤١٧].

الدليل الثاني: استدلالاهم بقوله تعالى : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ).

والرد عليهم أن يقال:

إن أهل العلم اختلفوا في تفسير الآية إلى عدة معان ليس منها ماورد في استدلالكم:

---

[٤١٣] لسان العرب لابن منظور ٤٦٨/١٣.
[٤١٤] تفسير الطبري.
[٤١٥] لسان العرب لابن منظور ٤٦٨/١٣.
[٤١٦] الكشاف ٦/١.
[٤١٧] القاموس المحيط ص ١٦٠٣ وانظر أيضًا الصحاح للجوهري ٢٢٢٣/٦.

المعنى الأول: أن المراد أن الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر:

فيكون قوله: (يَعْلَمُ) متعلقًا بقوله: (فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ) تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون.

استحسن هذا القول:

النحاس[٤١٨] والقاضي أبو يعلى الفرّاء[٤١٩] وحكاه السمعاني والبغوي عن الزجاج[٤٢٠].

المعنى الثاني: أن الوقف تامٌ على قوله: (فِي السَّمَاوَاتِ) ، وقوله: (وَفِي الْأَرْضِ) يتعلق بما بعده أي :

يعلم سركم وجهركم في الأرض ، ومعنى هذا القول: أن الله في السماوات يعلم سر من في الأرض وجهرهم لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وهذا القول هو ما اختاره الإمام ابن جرير الطبري[٤٢١].

المعنى الثالث: هو أن الله منفردٌ بالتدبير في السماوات وفي الأرض كما تقول العرب: فلان في حاجات الناس وفلان في الصلاة.

ذكر هذا القول الإمام القرطبي رحمه الله[٤٢٢].

المعنى الرابع: وهو أن المقصود بالآية أن الله مسمى بهذا الاسم في الأرض كما هو مسمى به في السماوات ، فكما أنه هو الله في السماوات فكذلك هو الله في الأرض.

ذهب إلى هذا القول مرعي الكرمي المقدسي رحمه الله[٤٢٣].

---

[٤١٨] الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٦.
[٤١٩] إبطال التأويلات ٢٣٦/١.
[٤٢٠] تفسير السمعاني ٨٧/٢ وتفسير البغوي ٢٨/٧.
[٤٢١] جامع البيان ١٩٨/٧.
[٤٢٢] الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٦.
[٤٢٣] أقاويل الثقات ص١٠٥-١٠٦.

المعنى الخامس: هو كتفسير الآية السابقة:

أي هو المعبود في السماوات والأرض.

وإلى هذا ذهب الإمام أحمد[٤٢٤] رحمه الله وغيره[٤٢٥].

ورجحه ابن كثير[٤٢٦] وابن عبدالبر[٤٢٧] والشوكاني[٤٢٨] والقرطبي[٤٢٩] والشنقيطي[٤٣٠] وابن عثيمين[٤٣١].

وهذا قول وجيه قوي :

ذلك أن اسم الجلالة: "الله" أصله إله[٤٣٢].

لكن أضيف إليه (أل) التعريف ثم أدغمت اللام في الأخرى وقالوا : نظيره كلمة الناس فأصلها الأناس لكن حذفوا الهمزة فقالوا: (الناس)[٤٣٣].

وقد قال ابن عباس في تفسير معنى لفظ الجلالة: "الله":

(ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين)[٤٣٤].

فهذه هي أقوال أهل العلم في هذه المسألة فبعد تبينها نقول:

أنه لم يذكر أحد من أهل العلم المعتبرين أن معنى الآية فيه نفي العلو عن الله.

---

[٤٢٤] الرد على الجهمية والزنادقة ٩٤.
[٤٢٥] مجموع الفتاوى ٢٥٠/١١.
[٤٢٦] تفسيره ١٩٩/٢.
[٤٢٧] التمهيد ١٢٧/٦.
[٤٢٨] فتح القدير ١٤١/٢.
[٤٢٩] تفسيره ٢٤١/٦.
[٤٣٠] أضواء البيان ٤٧٠/١.
[٤٣١] شرح العقيدة الواسطية ٤٠٠/٢.
[٤٣٢] لسان العرب لابن منظور ٤٦٨/١٣ ومدارج السالكين لابن القيم ٥٦/١ .
[٤٣٣] لسان العرب ٤٦٨/١٣ والقيومي في المصباح المنير ١٩/١ والزبيدي في تاج العروس ٣٢١/٣٩ بل وذكره حتى الإباضية كما ذكره الصحاري الإباضي العماني في كتابه الإبانة في اللغة العربية ٢٤٥/١.
[٤٣٤] جامع البيان للطبري ٥٤/١.

ثم أيضًا: إن من قواعد الشريعة المتفق عليها أن إعمال النصين أولى من إهمال (ترك) أحدهما.

فبما أن أهل العلم قد قالوا بهذه المعاني التي لا تنافي نصوص إثبات صفة العلو فعليه نؤمن بهذه المعاني أو بأحدها مع إثبات النصوص الأخرى الكثيرة في إثبات صفة العلو لأننا بتفسير هؤلاء المفسرين أعملنا هذا النص ونصوص صفة العلو ولم نترك شيئًا منهما وهذا هو الواجب.

الدليل الثالث: قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

والرد عليهم أن يقال:

أولًا: إن هذه الآية اختلف فيها أهل العلم:

فقائلون بأنها: صفة الوجه لله تبارك وتعالى وهو قول أحمد[٤٣٥] والدارمي[٤٣٦] وابن خزيمة[٤٣٧] والأصبهاني[٤٣٨] وابن عبدالبر[٤٣٩] والسمعاني[٤٤٠] وابن القيم[٤٤١] والسفاريني[٤٤٢] والسعدي[٤٤٣].

والقول الثاني: أن المراد بالآية القِبلة والوجهة.

وممن قال بهذا القول: مجاهد[٤٤٤] وعكرمة[٤٤٥] والحسن البصري[٤٤٦] وقتادة[٤٤٧] ومقاتل[٤٤٨] والشافعي[٤٤٩] وابن تيمية[٤٥٠] والشوكاني[٤٥١] وجمهور السلف[٤٥٢].

---

[٤٣٥] السنة لعبدالله بن أحمد ٥١٤/٢.
[٤٣٦] نقض الدارمي على المريسي ٧١٠/٢.
[٤٣٧] كتاب التوحيد ٢٥/١.
[٤٣٨] الحجة في بيان المحجة ١٩٩/١.
[٤٣٩] التمهيد ١٥١/٧.
[٤٤٠] تفسيره ١٢٩/١.
[٤٤١] إعلام الموقعين ٥٣/٦.
[٤٤٢] لوامع الأنوار ٢٢٨/١.
[٤٤٣] تفسيره ص ٦٤.
[٤٤٤] سنن الترمذي ٢٠٦/٥ وابن أبي حاتم ١١٢٢ والأسماء والصفات للبيهقي ١٠٦/٢.
[٤٤٥] زاد المسير لابن الجوزي ١٣٥/١.
[٤٤٦] رواه ابن أبي حاتم ١١٢٢.
[٤٤٧] تفسير الطبري ٤٥١/٢.
[٤٤٨] تفسير البغوي ١٣٩/١.

وهذا هو الراجح من القولين في هذه الآية.

قال ابن تيمية رحمه الله: (ليست هذه الآية من آيات الصفات ومن عدّها في الصفات فقد غلِط)[٤٥٣].

ومما استدلوا به:

- سياق الآية :

فإن سياق الآية يدل على المراد حيث قال: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) والمشرق والمغرب: الجهات ، والوجه هو الجهة ، يقال: أي وجه تريده؟ أي : أي جهة تريد؟ ، ويقول : أنا أريد هذا الوجه ، أي هذه الجهة.

كما قال تعالى: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا) ولهذا قال: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أي : تستقبلوا وتوجهوا[٤٥٤].

- الوجه في لغة العرب يطلق ويراد به :

يقال: قصدت هذا الوجه وسافرت إلى هذا الوجه ووجهنا ركابنا إلخ مما يدل على استعمال العرب للوجه بهذا الإطلاق[٤٥٥].

ثانيًا: أن أصحاب كلا القولين يثبتون صفة العلو لله تبارك وتعالى كما تقدم بيانه.

فلما لم يفهموا من الآية ما فهمتَ دل ذلك على بطلان فهمك.

---

[٤٤٩] الأسماء والصفات للبيهقي ١٠٦/٢.
[٤٥٠] مجموع الفتاوى ٤٢٩/٢ و١٩٣/٣ و١٥/٦-١٦.
[٤٥١] فتح القدير ٢٥٨/١.
[٤٥٢] مجموع الفتاوى ٤٢٩/٢.
[٤٥٣] مجموع الفتاوى ١٩٣/٣.
[٤٥٤] مجموع الفتاوى ١٩٣/٣.
[٤٥٥] مجموع الفتاوى ١٦/٦.

ثالثًا: أن العرب تقول : أنا في وجه الشمس والشمس في وجهي وهكذا ولا يمكن أن يكون المعنى أن ذات الشمس في وجهه أو أنه ذاته في الشمس بل المقصود أنا مقابل الشمس وهي كذلك مع أنها في العلو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي؛ بَلْ هَذَا الْوَصْفُ يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقَاتِ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَنَّهُ يُنَاجِي السَّمَاءَ أَوْ يُنَاجِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَكَانَتْ السَّمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَوْقَهُ وَكَانَتْ أَيْضًا قِبَلَ وَجْهِهِ)[٤٥٦].

وقال أيضًا: (وَإِذَا قِيلَ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي الْمَاءِ، أَوْ فِي الْمِرْآةِ، أَوْ وَجْهُ فُلَانٍ فِي الْمِرْآةِ، أَوْ كَلَامُ فُلَانٍ فِي هَذَا الْقِرْطَاسِ، فَهَذَا لَهُ مَعْنًى يَفْهَمُهُ النَّاسُ، يَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْوَجْهُ فِي الْمِرْآةِ وَرُؤِيَتْ فِيهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَحُلَّ بِهَا ذَاتُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا حَلَّ فِيهَا مِثَالٌ شُعَاعِيٌّ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ إِذَا كُتِبَ فِي الْقِرْطَاسِ، فَالنَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِيهِ وَمَقْرُوءٌ فِيهِ وَمَنْظُورٌ فِيهِ، وَيَقُولُونَ: نَظَرْتُ فِي كَلَامِ فُلَانٍ وَقَرَأْتُهُ، وَتَدَبَّرْتُهُ وَفَهِمْتُهُ وَرَأَيْتُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، كَمَا يَقُولُونَ: رَأَيْتُ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ وَتَأَمَّلْتُهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ صَادِقُونَ يَعْلَمُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ نَفْسَ جِرْمِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْوَجْهِ لَمْ يَحُلَّ فِي الْمِرْآةِ، وَأَنَّ نَفْسَ مَا قَامَ بِهِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَصْوَاتِ لَمْ تَقُمْ بِالْقِرْطَاسِ، بَلْ كَانَتِ الْمِرْآةُ وَاسِطَةً)[٤٥٧].

فلا يلزم من كون هذه قبلة الله أو وجهة الله أن يكون بذاته فيها سبحانه.

الدليل الرابع: إثبات المعية لله والقرب ينافي إثبات العلو:

ونصوص المعية والقرب كثيرة:

منها :

[٤٥٦] مجموع الفتاوى ١٠٧/٥.
[٤٥٧] الجواب الصحيح ٣٣٠/٤.

قوله تعالى: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا).

وقوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ).

وقوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ).

وقوله تعالى: (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ).

وعن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء)[٤٥٨].

والجواب عن هذا من وجوه :

الوجه الأول :

أن معية الله تعالى لا توجب حلولًا ولا اختلاطًا ولا تنافي علوه تعالى لأن معناها بإجماع أهل العلم : العلم والإحاطة – أي: أن الله معنا بإحاطته وعلمه –:

قال ابن بطة : (وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه وعلمه محيط بكل مكان)[٤٥٩].

وقال الطلمنكي رحمه الله: (وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) ونحو ذلك من القرآن : أن ذلك علمه وأن الله فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء)[٤٦٠].

---

[٤٥٨] رواه مسلم ٤٨٢.
[٤٥٩] الإبانة ١٣٦/٧.
[٤٦٠] درء التعارض ٢٢٨/٣ واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٣.

قال الدارمي رحمه الله: (هذه الآية لنا عليكم لا لكم إنما يعني: أنه حاضر كل نجوى مع كل أحد من فوق العرش بعلمه ؛ لأن علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ لا يحجب شيء عن علمه وبصره ....) إلى أن قال: (وكذلك فسرته العلماء)[٤٦١].

~ أنواع المعية:

النوع الأول: معية عامة: وهي معية الله مع خلقه كلهم: ومقتضى هذه المعية: علمه وإحاطته وقدرته.

ومنها : قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

أي: معهم بعلمه ويدل عليه سياق الآية.

وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

أي: معهم بعلمه ويدل عليه سياق الآية.

عن النبي ﷺ أنه قال: (اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم)[٤٦٢].

وهذا هو تفسير السلف رضوان الله عليهم:

---

[٤٦١] الرد على الجهمية ص٢٦٨.
[٤٦٢] رواه البخاري ٤٢٠٥ ومسلم ٢٧٠٤.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) : (وهو على العرش وعلمه معهم)[٤٦٣].

وقوله تعالى: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ).

قال: (هو على العرش وعلمه في كل مكان)[٤٦٤].

وكذلك هذا هو تفسير الضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري[٤٦٥].

النوع الثاني: معية خاصة: وهي خاصة بأنبيائه وأوليائه ومقتضى هذه المعية: النصر والإعانة والتأييد.

وهذه المعية تنقسم إلى قسمين: مقيدة بوصف ومقيدة بشخص.

فأما الخاصة المقيدة بوصف: فمثل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ).

فكل من كان متصفًا بالتقوى والإحسان فالله معه.

وأما الخاصة المقيدة بشخص معيّن: فمثل قوله تعالى: (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا).

فهذه المعية خاصة مقيدة بالنبي ﷺ وبأبي بكر – ﷺ – وهذه أخص من المقيدة بوصف.

فأخص أنواع المعية ما قيّد بشخص ثم ما قيّد بوصف .

فتبين بهذا أنه لا تعارض بين آيات إثبات العلو وبين آيات المعية.

وهذا التفسير بينه الإمام أحمد رحمه الله فقد قال في تفسير آية المجادلة :

---

[٤٦٤] أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة : (٣٠٦/١)

[٤٦٥] الشريعة للآجري ١٧٧/٣-١٧٩ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤٤٤/٣-٤٤٥ والأسماء والصفات للبيهقي ١٧٤/٢.

((مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ) يعني: بعلمه (وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ) يعني: الله بعلمه (هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) يعني: بعلمه فيهم (أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يفتتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه)[٤٦٦].

وقال في قوله تعالى: (وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ): (بعلمه فيهم)[٤٦٧].

وأما الآيات التي جاءت فيها المعية خاصة فقد فسرها – رحمه الله – بالنصر والتأييد والدفع والعون فقال – رحمه الله – في قوله تعالى لموسى: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ) :(يقول: في الدفع عنكما ، وفي قوله: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) يقول في الدفع عنا.

وفي قوله : (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) يقول: في النصر لهم على عدوهم.

وفي قوله: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ) في النصر لكم على عدوكم)[٤٦٨].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد)[٤٦٩].

---

[٤٦٦] الرد على الزنادقة والجهمية ص٩٥.
[٤٦٧] المصدر السابق ص ٩٧.
[٤٦٨] المصدر نفسه ص ٩٧.
[٤٦٩] شرح حديث النزول ص٣٦٠.

قرّر ذلك أيضًا: ابن القيم[٤٧٠] والذهبي[٤٧١] وابن كثير[٤٧٢] والشنقيطي[٤٧٣] وجمال الدين القاسمي[٤٧٤] وابن عثيمين[٤٧٥] ومُحَمَّد خليل هراس[٤٧٦].

وهذا يدل على أنه لا تنافي بين إثبات معية الله وإثبات علوه سبحانه .

الوجه الثاني[٤٧٧]: أن الله تعالى جمع بين إثبات العلو وإثبات المعية لنفسه في كتابه ولو كانا متناقضين لم يجمع القرآن بينهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك – يعني: ما جاء في الكتاب والسنة – يناقض بعضه بعضًا ألبتة ؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) وقوله صلى الله عليه وسلم : (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه)[٤٧٨] ونحو ذلك ؛ فإن هذا غلط . ذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا)[٤٧٩].

الوجه الثالث: أن حقيقة معنى المعية لا تناقض العلو فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا ولا يعد ذلك تناقضًا.

---

[٤٧٠] مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٩٤.
[٤٧١] العلو للعلي الغفار ٢٣٦/١-٢٧٧.
[٤٧٢] تفسير القرآن العظيم ٥٤٥/٢.
[٤٧٣] دفع إيهام الاضطراب ص ٣٢١.
[٤٧٤] محاسن التأويل ٢٥/١٦-٢٧.
[٤٧٥] شرح العقيدة الواسطية ٤٠١/١-٤٠٢.
[٤٧٦] شرح العقيدة الواسطية للهراس ١٧٩-١٨١.
[٤٧٧] الوجه الأول مسألة المعية وأنواعها.
[٤٧٨] رواه البخاري ٤٠٦ ومسلم ٥٤٧.
[٤٧٩] مجموع الفتاوى ١٠٢/٥

ومن المعلوم أن السائر في الأرض والقمر في السماء فإذا كان هذا ممكنًا في حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه – سبحانه – من باب أولى وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت، فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين وشمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو النجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة)[٤٨٠].

الوجه الرابع: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعًا في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما ؛ لأن الله لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وكما أنه لا تنافي بين علو الله ومعيته فكذلك لا تنافي بين علوه وقربه لمن يشاء من عباده فهو سبحانه بإجماع السلف قريب في علوه عالٍ في قربه لأنه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[٤٨١].

~ قال ابن القيم رحمه الله : (وَإِنْ عَسُرَ عَلَى فَهْمِكَ اجْتِمَاعُ الْأَمْرَيْنِ فَإِنَّهُ يُوَضِّحُ ذَلِكَ مَعْرِفَةُ إِحَاطَةِ الرَّبِّ وَسَعَتِهِ، وَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ فِي يَدِهِ كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ الْعَبْدِ، وَأَنَّهُ يَقْبِضُ سَمَاوَاتِهِ السَّبْعَ بِيَدِهِ وَالْأَرْضِينَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ كَيْفَ يَعْسُرُ عَلَيْهِ الدُّنُوُّ مِمَّنْ يُرِيدُ الدُّنُوَّ مِنْهُ وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَهُوَ يُوجِبُ لَكَ

[٤٨٠] الفتوى الحموية ص٥٢١.
[٤٨١] شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٤٦/٢.

فَهْمَ اسْمِهِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ التَّفْسِيرَ الَّذِي فَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ هُوَ تَفْسِيرُ الْحَقِّ الْمُطَابِقُ لِكَوْنِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَكَوْنِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ)[٤٨٢].

الدليل الخامس: قالوا: بأن من أثبت لله صفة العلو فقد أثبت لله جهةً وتحيزًا وحدًا ومكانًا وهذا فيه من صفات المخلوقين.

والرد أن يقال:

أنتم الآن ذكرتم ألفاظًا مجملة وقد تقدم بيان اعتقاد أهل السنة وتعاملهم مع الألفاظ المجملة.

فعليه لا بد أن نفصل فيها ببيان معناها ووجه الإجمال فيها وتوجيهها التوجيه السليم.

أولًا :

~ بيان وجه الإجمال فيه:

أن المعطلة قد استعملوها لنفي صفة العلو عن الله واستدلوا به:

- فإن أرادوا بالجهة: أن الله تعالى في جهة وجودية تحيط به إحاطة الظرف بالمظروف وأنه داخلٌ محصورٌ في شيء من المخلوقات كالسماوات أو أن يكون مفتقرًا إلى شيءٍ منها كالعرش أو غيره: فهذه المعاني **باطلة** منفية عن الله عز وجل.

ولكن لا يلزم من وصف الله بالعلو الذاتي والاستواء على العرش أن تضاف إليه هذه المعاني الباطلة.

- وإن أرادوا بالجهة : أن الله تعالى في جهة عُليا عدمية لا تحيط به : فهذا هو المعنى الحق . سواء عبروا عنه بـ(الجهة) أم لم يعبروا عنه بها ، فإن هذا هو معنى صفة العلو الذاتي لله تعالى الثابتة في نصوص كثيرة تقدم ذكرها.[٤٨٣]

---

[٤٨٢] مختصر الصواعق المرسلة على المعطلة والجهمية ص ٣٩٧.

[٤٨٣] مجموع الفتاوى ٤١/٣ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ومنهاج السنة ٢٢٣/٢ وابن القيم في الصواعق المرسلة ٩٤٧/٣ ومواطن كثيرة جدًا عندهما وعند غيرهما.

وكذلك يقال هذا في بقية الألفاظ المجملة التي ذكرتها كالمكان مثلًا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وحقيقة الأمر في المعنى أن ينظر إلى المقصود: فمن اعتقد أن المكان لا يكون إلا ما يفتقر إليه المتمكن سواءً أكان محيطًا به أو كان تحته فمعلوم أن الله تبارك وتعالى ليس في مكان بهذا الاعتبار.

ومن اعتقد أن العرش هو المكان وأن الله فوقه مع غناه عنه فلا ريب أنه في مكان بهذا الاعتبار)[٤٨٤].

وكذلك : التحيز فإن أريد به :

- أن الله في حيز موجود في مخلوق يحيط به ويحوزه فهذا باطل وممتنع لأن الله عز وجل لا يحيط به شيء من مخلوقاته.
- وإن أريد بذلك أنه منحاز عن المخلوقات بائنٌ منها غير مختلط فيها ولا هي حالّةٌ فيه بل هو عالٍ عليها: فهذا المعنى حق[٤٨٥].

وكذلك: الحد فإن أريد به:

- أن الله يحده شيءٌ من مخلوقاته ويحيط به : فهذا معنى **باطلٌ** منفي عن الله تعالى.
- وإن أريد به : أن الله تعالى غير حالٍ في خلقه ولا ممازجٌ لهم بل هو مباينٌ لهم ومنفصلٌ عنهم بذاته: فهذا معنى صحيح لدلالة النصوص عليه كما تقدم[٤٨٦].

لذلك تجد من السلف من نفوا "الحد" عن الله تعالى ، وإنما أرادوا بالحد المعنى الأول لأنهم هم ذاتهم أثبتوا أن الله في العلو.

ممن نفاه: سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة والطيالسي والطحاوي[٤٨٧] وأحمد في رواية[٤٨٨] وغيرهم.

---

[٤٨٤] درء التعارض ٢٤٩/٦.
[٤٨٥] مجموع الفتاوى ٣٠٠/٥ و٣٨/٦-٤٠.
[٤٨٦] بيان تلبيس الجهمية ٢٤٣/١ ، ٤٤٢.

ومنه السلف من أثبته ومنهم : إنما أرادوا بإثباتهم المعنى الثاني لأنهم يعتقدون تنزيه الله عن النقائص ودخوله في خلقه.

وممن أثبته: عبدالله بن المبارك[٤٨٩] ورواية عن الإمام أحمد[٤٩٠] وأثبته الإمام الدارمي[٤٩١] .

ثانيًا: رد الشبهة:

إذا تبين هذا فالرد عليكم أن يقال:

إذا ثبت أن من الجهات ما يكون مخلوقًا كالأرض مثلًا امتنع أن يكون الله تعالى حالًا بها وإذا لم يحلّ الله بها لزم أن يكون مباينًا لها وكل موجودين مباينين لا بد أن يكون أحدهما عاليًا على الآخر أو تحته أو جنبه وكل الجهات تقتضي النقص ما عدا العلو فهو مقتضٍ للكمال والله تعالى منزه عن النقص مستوجب للكمال فوجب أن يكون عاليًا على خلقه فصار دليلكم دليلًا عليكم.

- ثم أيضًا: أنكم نفيتم العلو عن الله تنزيهًا له أن يكون في جهة فوقعتم في أعظم من ذلك:

فلم تنزهوا الله عن الأماكن القذرة والخسيسة التي يأنف أحدكم أن يوصف بوجوده فيها .

فهذا هو لازم قولكم تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

- فإن قلتم إن الله ليس بداخل العالم وليس بخارج منه –كما يقول الجهمية – قلنا لكم أنتم الآن تعبدون عدمًا.

فإن سلب النقيضين يمنع أن يتوجه إلى موجود ألبتة.

---

[٤٨٧] شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢٣٨-٢٣٩.
[٤٨٨] كما في كتاب السنة للإمام أحمد برواية الأصطخري ٢٤ وكما رواه عنه الخلال في السنة نقلًا من درء التعارض ٢/٢٩-٣٢.
[٤٨٩] رواه أبو داود كما في التمهيد لابن عبدالبر ٧/١٤٢ والدارمي في الرد على المريسي ٢٤.
[٤٩٠] كما رواها الخلال نقلًا من درء التعارض ٢/٣٤.
[٤٩١] في رده على المريسي ٢٣-٢٥.

المسألة الثالثة عشر: حديث الجارية :

قال : (م . ر) في الصفحة الثالثة : (أما حديث الجارية فقد صرح أهل العلم بأن فيه مقالًا[٤٩٢] ، وهو أحاديّ لا تبنى عليه عقيدة[٤٩٣] ومخالف لما يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلو ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[٤٩٤]

وعندما جاءه الأعرابي يشهد برؤية الهلال قال له النبي ﷺ : (أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟) فقال: نعم ؛ فقبل رسول الله ﷺ شهادته[٤٩٥].

هذا سبيل دعوته ﷺ وطريق الدخول في الإسلام واحتمال أن الرسول ﷺ جعلها في عداد المسلمين لاعترافها بالله ورسوله ولذلك عن معنى الفوقية وقد جاء الحديث بألفاظ متعددة منها عند مالك وأحمد بلفظ تشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم . وفي رواية : من ربك؟ أخرجه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح وعند مالك في الموطأ : أتشهدين أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قالت: نعم ، قال أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت: نعم.

والرسول بين أركان الإيمان والإسلام ولم يذكر فيه عقيدة أن الله فوق السماء).

عجبًا والله لأمرك تقرر الشيء ثم تنقضه في آن واحد.

بيان ذلك:

---

[٤٩٢] اذكر لي أئمة السنة وعلماء الحديث الذين تكلموا فيه أما الكلام هكذا فسهل.
[٤٩٣] تقدم بيان وجوب الأخذ بأخبار الآحاد في الاعتقاد فبطل قولك.
[٤٩٤] رواه البخاري ٢٥.
[٤٩٥] رواه أبو داود ٣٠٢.

ذكرتَ في كلامك ما مفاده: أن الإيمان بأن الله في العلو فوق السماء ليس من دين الله وعللت ذلك بأمور منها:

أن النبي ﷺ أُمِرَ أن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

وأنه شهد بإسلام الأعرابي بمجرد إيمانه بالشهادتين.

وأنه قال للجارية هذه الروايات التي ذكرتها.

ثم قلت : (والرسول بين أركان الإيمان والإسلام ولم يذكر فيه عقيدة أن الله فوق السماء).

فأنت الآن تناقضت من وجهين:

الوجه الأول: أن الحديث الأول[٤٩٦] الذي ذكرته ليس فيه[٤٩٧] الأمر بالصيام ولا الحج مع أنهما ركنان من أركان الإسلام وليس فيه الإيمان بالملائكة ولا بالكتب ولا بالرسل ولا باليوم الآخر ولا بالقدر خيره وشره.

فهل معنى هذا أن هذه الأمور ليست شرطًا للدخول في الإسلام لأن النبي أمر أن يقاتل الناس على الشهادتين والصلاة والصيام ولم يذكر هذه الأمور؟

وهل من لم يؤمن بها إيمانه صحيح؟

فإن قلت : وردت بها أحاديث أخرى ، قلنا: والعلو وردت به أدلة أخرى.

فإن قلت : دلت عليها هذه الأحاديث ضمنًا لأن الإيمان بالرسول يلزم منه الإيمان بما جاء به وهذه الأركان الباقية مما جاء به فنقول لك: وأيضًا إثبات العلو مما جاء به.

---

[٤٩٦] وكذلك في بقية الأدلة التي استدليت بها.
[٤٩٧] ليس فيه تنصيصًا.

الوجه الثاني: أنكم تعتقدون أمورًا لم تذكر في هذه الأحاديث منها:

- اشتراط التواتر في العقيدة.

فنقول لك: يلزمك أن لا تؤمن بوجوبه لأن النبي ﷺ لم يوجبه على الناس في هذه الأحاديث بل اقتصر على ما ذكر.

- الإيمان بأن القرآن مخلوق.

فنقول لك: يلزمك أن لا تؤمن بخلق القرآن لأن النبي ﷺ لم يوجبه على الناس في هذه الأحاديث بل اقتصر على ما ذكر.

- الإيمان بخلود العصاة في النار.

فنقول لك: يلزمك أن لا تؤمن بخلودهم في النار لأن النبي ﷺ لم يوجب على الناس الإيمان بذلك في هذه الأحاديث بل اقتصر على ما ذكر.

وهكذا دواليك في كل ما تعتقده.

والصحيح الذي لا شك ولاريب فيه:

أن من لوازم الإيمان بالله والإيمان برسوله ﷺ الإيمان بكل ما أخبروا به:

فالنبي ﷺ أخبر بوجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأخبر بوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغيرها من شرائع الإسلام.

فوجب على من آمن بالنبي ﷺ أن يتبعه ويؤمن بما أخبر به وإلا لم يكن مؤمنًا به ولا مؤمنًا بصدقه.

فمن المحال أن تجد شخصًا يؤمن بالنبي ﷺ ثم تجد أن النبي ﷺ يقول شيئًا فيأتي هذا ويكذبه قل لي بالله عليك كيف يكون هذا مؤمنًا بالنبي وهو مكذبٌ له؟!!

وهذا كذلك من لوازم الإيمان بالله فليس الإيمان بالله ومحبته ادعاء باللسان بل لا تكون مؤمنًا بالله حتى تؤمن وتتبع ما جاء به رسوله ﷺ كما قال سبحانه:

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

فكذلك الإيمان بالعلو دلت عليه النصوص المتواترة كما تقدم فلازم إيمانك بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم أن تؤمن بعلو الله سبحانه.

~ أما حديث الجارية فإليك بيان من صحح الحديث من المحدثين:

- الإمام البغوي رحمه الله حيث قال عن هذا الحديث: (هذا حديث صحيح)[٤٩٨].
- الإمام ابن قدامة رحمه الله حيث قال: (... هذا حديث صحيح)[٤٩٩].
- الحافظ الذهبي رحمه الله حيث قال: (هذا حديث صحيح ، رواه جماعة من الثقات عن يحيى بن أبي كثير)[٥٠٠].
- الحافظ المحدث ابن حجر العسقلاني رحمه الله حيث قال: (... هذا حديث صحيح أخرجه مسلم)[٥٠١].
- الإمام ابن الوزير اليماني رحمه الله حيث قال: (... هذا حديث ثابت خرّجه مسلم في الصحيح)[٥٠٢].
- الإمام مُحَمَّد ناصر الدين الألباني رحمه الله[٥٠٣].

وغيرهم كثير.

وأما الكلام على إسناده ورواياته والجمع أو الترجيح بينها فقد كُفيتُه فقد بحث فيه جمعٌ من أهل العلم وأجادوا فانظر إن أردت الحق غير مأمور:

---

[٤٩٨] شرح السنة ٢٣٩/٣.
[٤٩٩] إثبات صفة العلو ص ٤٧.
[٥٠٠] العلو للذهبي ص ١٤.
[٥٠١] فتح الباري ٣٥٩/١٣.
[٥٠٢] العواصم والقواصم ٣٧٩/١-٣٨٠.
[٥٠٣] مختصر العلو ص ٨١-٨٣.

- كتاب "تكحيل العينين بجواز السؤال عن الله بأين" للشيخ د.صادق بن سليم بن صادق – وفقه الله –.
- وكتاب "أين الله ، دفاعٌ عن حديث الجارية رواية ودراية" للشيخ سليم الهلالي[٥٠٤] – وفقه الله –.
- وكتاب "الدفاع عن حديث الجارية" للشيخ عبدالله بن فهد الخليفي.

ثم إني أعيد وأذكّر ليس عمدتنا في إثبات علو الله حديث الجارية فقط بل لدينا مئات الأدلة غيره وتقدم بعضها وهذا كافٍ لمن أراد الحق وتجرد عن الهوى والتعصب.

وأذكر هنا ماقلت لي عندما التقينا في هيماء قبل سنتين من الآن عندما سألتك أين الله ؟ فنفيت علمك وقلت : الله أعلم فأمسكت رأسي وقلت: ما أكبرها ياشيخ مثلك ويجهل أين ربه ومعبوده ؟!!! ومن ضمن ما أوردت من الأدلة وقتها حديث الجارية فقلت جوابا على ذلك : إنها جاهلة !!!

وقلت : الدليل في إقرار رسول الله ﷺ إذ لو كان كلامها باطلا أو ملبسا لبينه الناصح الأمين في وقته بل أقرها وزكى إيمانها

فأعيذك بالله من رد الحق البين الجلي بشبه لايقولها عامة الناس .

[٥٠٤] والشيخ سليم من كبار تلاميذ العلامة المحدث الإمام محمد ناصر الدين الألباني.

المسألة الرابعة عشر: الاستواء على العرش:

قال (م . ر) في الصفحة الخامسة:

(وقال آخرون : العرش هو السرير الذي يجلس عليه الملوك وهو كناية عن الملك ، ودلالة على إنفاذ مشيئته تعالى وشمول قدرته لكل شيء ومصداق ذلك من كتاب الله: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) وكما في قوله تعالى في سورة البقرة: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومثل هذا في كلام العرب كثير كقولهم : فلان كثير الرماد إذا كان كريمًا ومن هذا المعنى قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف ولا دم مهراق

ممن أقر هذا التأويل صاحب تفسير المنار والفخر الرازي ومن أعلام المالكية المفسر القرطبي فانظر في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) في سورة تبارك وفي سورة الحاقة وقد بيّن اختلاف العلماء وأوضح رأي كل فريق).

بعد ذكر كلامك أسوق الآن مسائل متعلقة بموضوع الاستواء حتى تتضح الصورة فأقول مستعينًا بالله:

أولًا: تعريف الاستواء:

الاستواء في اللغة:

الاستواء في كلام العرب يرِد على ضربين :

إما مطلقًا وإما مقيدًا ، والمقيد إما أن يقيد بـ(إلى) أو بـ(الواو) أو بـ(على) فهذه أربعة موارد:

المورد الأول: (الاستواء المطلق) :

وهو ما لم يوصل معناه بحرف . وهو بمعنى : انتهى وكمل وتم ، ومنه قوله تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ).

وقد يفيد معنى العلو كقول الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة *** وقد حلق النجم اليماني فاستوى

المورد الثاني: المقيد بـ(إلى):

وهو بمعنى القصد إلى الشيء علوًا وارتفاعًا كقوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ).

المورد الثالث: المقيد بـ(الواو):

وهو بمعنى المساواة كقولك : استوى الماء والخشبة واستوى الليل والنهار واستوى الرجل والمرأة.

المورد الرابع: المقيد بـ(على):

وهو بمعنى واحدٍ لا يحتمل غيره في لغة العرب ألا وهو:

العلو والارتفاع وذلك بإجماع أهل اللغة[٥٠٥] كقوله تعالى: (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ) وقوله تعالى: (لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ) وقوله تعالى: (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ).

وممن ذكر هذه الموارد [٥٠٦]:

~ الإمام اللغوي ثعلب البغدادي رحمه الله (ت ٢٩١هـ) إذ في قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ):

(استوى على ، يعني: **علا** ، واستوى الوجه: اتصل ، واستوى القمر: امتلأ واستوى زيد وعمر: تشابَهَا ، واستوى إلى السماء: أقبل.

[٥٠٥] الصواعق المرسلة ١٩٥/١-١٩٦ وانظر: تفسير الطبري ٤٢٩/١ ونكت القرآن للقصاب ٤٢٧/١-٤٢٨.
[٥٠٦] تاج العروس ١٨٨/١٠ وتهذيب اللغة للأزهري ١٢٤/١٣ ولسان العرب لابن منظور ٤١٤/١٤.

هذا الذي نعرفه من كلام العرب)[٥٠٧].

~ وقال داود بن علي رحمه الله: (كنا عند ابن الأعرابي[٥٠٨] ، فأتاه رجلٌ ، فقال: ما معنى قوله: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) ؟

قال: هو **على** عرشه كما أخبر . فقال: يا أبا عبدالله ، إنما معناه : (استولى) فقال: اسكت ، لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضاد فإذا غلب أحدُهما قيل: استولى)[٥٠٩].

وهذا هو الوارد عن السلف وأئمة اللغة في تفسير معنى الاستواء تجده في مظانه[٥١٠].

تلخّص من ذلك أن : الاستواء بالمعنى الشرعي موافق لما قرره السلف وأئمة اللغة كما في المصادر المتقدمة وما ورد عن السلف في تعريف الاستواء في آية صفة الاستواء أربعة ألفاظ كلها بمعنى العلو هي:

- علا. وممن فسره بهذا: مجاهد وثعلب.

- ارتفع. وممن فسره بهذا: أبو العالية والحسن البصري والخليل بن أحمد.

- صعد. وممن فسره بهذا: أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو عبيدة معمر بن المثنى والفرّاء.

- استقر. وممن فسره بهذا: مجاهد والكلبي وابن المبارك وابن قتيبة وابن عبد البر والقصاب وأبو الحسن الكرجي

ثانيًا: تعريف العرش:

العرش بناءً على دلالات النصوص ومقتضى اللغة العربية أنه:

---

[٥٠٧] العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة ١٦٦.
[٥٠٨] إمام في اللغة توفي عام ٢٣١هـ.
[٥٠٩] رواه شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/ ٤٤٢ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٨٣/٥ ورواها أبو إسماعيل الهروي كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح ٤٠٦/١٣ .
[٥١٠] صحيح البخاري ٢٦٩٨/٦ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٢٧١ ونقض الدارمي على المريسي ٤٥٠/١ وتفسير مقاتل ١٠٩/٢ ، ٣٢٤ وتفسير ابن أبي حاتم ٧٥/١ و ١٩٢٥/٦ وتفسير الطبري ٢٨٠/١٨ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٧٣/١ وكتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٣١/١-٢٥٤ واللالكائي ٣٩٧/٣ وتفسير البغوي ٢٣٥/٣ وغيرها.

سرير [٥١١] عظيم خلقه الله عز وجل واستوى عليه وعلا علوًا يليق بجلاله[٥١٢].

ثالثًا: أدلة صفة الاستواء:

- قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) في سبعة مواضع من كتابه وفي أحدها (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ).
- قوله تعالى: (إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا).

ومن الآثار :

قول ابن مسعود ﷺ: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)[٥١٣].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله : (هذا الحديث موقوف على ابن مسعود ، لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها ، فيكون لها حكم الرفع ، لأن ابن مسعود لم يُعرف بالأخذ من الإسرائيليات)[٥١٤].

وأما الإجماع: فقد حكى إجماع العلماء على إثبات استواء الله على عرشه جمعٌ كثير من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين فمنهم:

- الأوزاعي رحمه الله إذ يقول: (كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَ)[٥١٥].

---

[٥١١] ممن نص من أئمة اللغة على أن العرش هو سرير الملك: ابن فارس اللغوي في معجم مقاييس اللغة ٢٦٤/٤ وفي القاموس المحيط ٥٩٧ والثعالبي في فقه اللغة ١٧٢ ومختار الصحاح للرزاي ٢٠٥ والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٦١/١ وغيرهم.

[٥١٢] الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧٢/٢.

[٥١٣] رواه ابن خزيمة في التوحيد ١٠٥ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٩٠/٢ و صححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٠٠ والذهبي في العلو ص ٦٤.

[٥١٤] مجموع الفتاوى ١١٢٥/١٠.

[٥١٥] رواه البيهقي في الأسماء والصفات ١٥٠/٢ ورواه غيره كما تقدم.

- وقال الشافعي رحمه الله: (القَوْل فِي السّنة الَّتِي أَنا عَلَيْهَا وَرَأَيْت عَلَيْهَا الَّذين رَأَيْتهمْ مثل سُفْيَان وَمَالك وَغَيرهمَا الْإِقْرَار بِشَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَن مُحَمَّدًا رَسُول الله وَأَن الله على عَرْشه فِي سمائه يقرب من خلقه كَيفَ شَاءَ وَينزل إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا كَيفَ شَاءَ وَذكر سَائِر الِاعْتِقَاد)[٥١٦].
- وقال سعيد بن عامر الضبعي رحمه الله (ت ٢٠٨ هـ): (الْجَهْمِيَّةُ أَشَرُّ قَوْلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَدِ اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ)[٥١٧].
- وقال علي بن المديني رحمه الله (ت ٢٣٤ هـ) عندما سئل ما قول أهل الجماعة؟ : (يُؤمنُونَ بِالرُّؤْيَةِ وبالكلام وَأَن الله عزوجل فَوق السَّمَوَات على عَرْشه اسْتَوَى)[٥١٨].
- وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله (ت ٢٣٨ هـ): (إِجْمَاع أهل الْعلم أَنه فَوق الْعَرْش اسْتَوَى وَيعلم كل شَيْء فِي أَسْفَل الأَرْض السَّابِعَة)[٥١٩].
- وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيين رحمهما الله بذلك حيث قالا:

(أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ: ..... وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا كَيْفٍ)[٥٢٠].

- وغيرهم كثير ممن حكى الإجماع على ذلك ممن يصعب حشد أقوالهم هنا أذكر منهم: الدارمي[٥٢١] وأبو الحسن الأشعري[٥٢٢] وأبو عبدالله مُحَمَّد بن خفيف[٥٢٣] وابن بطة العكبري[٥٢٤] وأبو عمرو الطلمنكي[٥٢٥] وأبو نعيم[٥٢٦] والسجزي[٥٢٧] والصابوني[٥٢٨] وابن

---

[٥١٦] العلو للذهبي ١٦٥.
[٥١٧] خلق أفعال العباد للبخاري ٣٠.
[٥١٨] العلو للذهبي ص ١٧٥.
[٥١٩] العلو للذهبي ص ١٧٩.
[٥٢٠] اللالكائي ١٩٧/١.
[٥٢١] نقضه على المريسي ص ٤٣٢.
[٥٢٢] رسالة إلى أهل الثغر ص ١٣٠-١٣١.
[٥٢٣] مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧٦/٥.
[٥٢٤] الإبانة ١٣٦/٣.

عبدالبر[٥٢٩] وأبو الحسن الكرجي[٥٣٠] وابن قدامة المقدسي[٥٣١] وابن تيمية[٥٣٢] وابن القيم[٥٣٣].

كل هؤلاء لم يحكوا أقوالهم فقط بل حكى كل واحدٍ منهم إجماع المسلمين على إثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى.

رابعًا: شبهات المخالفين والجواب عنها[٥٣٤] :

الشبهة الأولى: أن العرش هنا كناية عن المُلْكِ[٥٣٥].

والرد عليه من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا التفسير والتأويل مبتدع لم يقل به أحد من السلف بل هو مخالف لما ورد عن السلف[٥٣٦] ففهم السلف بلا أدنى شك ولا ريب هي الأرجح[٥٣٧].

الوجه الثاني: أن العرش قد ورد في النصوص الشرعية وصفه بأوصافٍ تمنع حمله على هذا المعنى الذي ذكرت وهي كثيرة منها:

- قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ).

---

[٥٢٥] العلو للذهبي ٢٤٦.
[٥٢٦] مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٠/٥.
[٥٢٧] مجموع الفاوى لابن تيمية ٢٢٢/٣.
[٥٢٨] عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٢٨-٢٩.
[٥٢٩] التمهيد ١٣٨/٧-١٣٩.
[٥٣٠] مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢٣/٣.
[٥٣١] ذم التأويل له ص ٤٦.
[٥٣٢] مجموع الفتاوى ٢٩٧/٢ و١٤٢/٣ والفتاوى الكبرى ٤٦٨/٦ وغيرها من كتبه.
[٥٣٣] مختصر الصواعق المرسلة ٣٥٧/٢.
[٥٣٤] وردي هنا على المخالفين من المفوضة والمؤولة لهذه الصفة.
تنبيه: لست بصدد حصر جميع شبههم وإنما حاولت الاقتصار على أشهرها.
[٥٣٥] قرر هذا القول كثير من المتكلمين: كالجهمية والمعتزلة ومتأخري الأشاعرة.
[٥٣٦] الذين تدعي موافقتهم لمذهبك.
[٥٣٧] وقد تقدم تقرير حجية فهم السلف في أول الرسالة.

قال مجاهد: (كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئًا)[٥٣٨].

ودليله حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (كانَ اللَّهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ، وكانَ عَرْشُهُ علَى المِاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيءٍ)[٥٣٩].

ومن المحال أن يكون معنى الآية وكان ملك الله على الماء!!.

- وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه قول النبي ﷺ : (فإنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَومَ القِيامَةِ، فأكُونُ أوَّلَ مَن تَنْشَقُّ عنْه الأرْضُ، فإذا أنا بمُوسَى آخِذٌ بقائِمَةٍ مِن قَوائِمِ العَرْشِ)[٥٤٠].

هل ملك الله له قوائم؟!!

- وحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه : (اهتزّ لها عرش الرحمن)[٥٤١].

فهل المعنى : اهتز ملك الله؟!!

- وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (المتحابُّونَ في اللهِ على مَنابرَ مِن نورٍ في ظِلِّ العَرشِ، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه)[٥٤٢].

الوجه الثالث: أن سياق الآيات لا يسمح بهذا التأويل:

---

[٥٣٨] رواه ابن جرير من عدة طرق صحيحة وقد قال قبله: (كان عرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض ومن فيهن) ١٢/٣٣٠-٣٣١.
[٥٣٩] رواه البخاري ٧٤١٨.
[٥٤٠] رواه البخاري ٢٤١٢ و٣٣٩٨ و٤٦٣٨.
[٥٤١] رواه مسلم ٢٤٤٦ و٢٤٦٧.
[٥٤٢] رواه أحمد ٢٢٠٦٤ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣٨٩٢ والشاشي في المسند ١٣٨٢ وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند.

- قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ).

فهل المعنى على رأيكم : أن الله إنما استوى على الملك بعد خلق السماوات والأرض وما فيهن؟!!

- وقال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ **وَمَنْ حَوْلَهُ** يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) وقوله : (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ)

هل معنى ذلك: أن هناك ملائكة خارجين عن ملك الله لأن الله يقول عن العرش: (**وَمَنْ حَوْلَهُ** يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) ويقول: (حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) هل هم حول ملك الله خارجون عنه؟!!

هذا ما لا يقوله مسلم لأن الله يقول: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ثم هو خالق كل شيء فكيف يكونون خارجين عن مُلكِهِ؟!!

الشبهة الثانية: أن إثبات هذه الصفة يلزم منه لوازم ينزه الله عنها منها:

أن الله أصغر من العرش أو مساوٍ له – سبحانه وتعالى –.

وأن يكون الله داخلًا في مخلوق.

وأن يكون محبوسًا في مخلوق.

وأن يكون محتاجًا لمخلوق سبحانه.

والجواب أن يقال: هذا إنما هو لازمٌ في حق المخلوقين بينما الله سبحانه وتعالى ليس ذاك بلازم له لأنه سبحانه ليس كمثله شيء[٥٤٣] وليس استواؤه كاستواء المخلوقين[٥٤٤].

[٥٤٣] وهذا دليل أن هذا القائل شبه الله بخلقه أولا ثم عطل

[٥٤٤] وقد تقدم بيان أن إثبات الصفات لا يوجب التشبيه.

وقد أشار إلى هذا المعنى جماعة من السلف :

كما قال الإمام أحمد رحمه الله: (استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر)[٥٤٥].

ويقول الدارمي رحمه الله: (أَيُّهَا المرِيسِيُّ، لَا يُقَالُ: إِنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَخْلُوقٍ عَلَى مَخْلُوقٍ، وَلَكِن مَلِكٌ كَرِيمٌ خَالِقٌ غَيْرُ مَخْلُوقَ عَلَى عَرْشٍ عَظِيمٍ مَخْلُوقٍ جَسِيمٍ عَلَى رَغْمِكَ وَأَنْتَ مَلُومٌ، فَمَنْ لمن يُؤْمِنْ أَنَّهُ كَذَلِكَ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَجَحَدَ آيَاتِ اللهِ، وَرَدَّ أَخْبَارَ رَسُولِ الله ﷺ)[٥٤٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (يظن المتوهم أنه إذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهر الفلك والأنعام كقوله تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ) فيتخيل له أنه إذا كان مستويًا على العرش كان محتاجًا إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام ، فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت الدابة لخر المستوي عليها فقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب – سبحانه وتعالى –)[٥٤٧].

الشبهة الثالثة: قالوا : هذا يلزم منه التنقل بين العرش والسماء.

والجواب أن يقال:

أن لفظ التنقل لفظ مجمل وتقدم ذكر قاعدتنا أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة وهي أن نستفصل منها فنقول:

ما تريدون بالتنقل: أتريدون تنقل الأجسام من مكان إلى مكان كما هي حال المخلوقين ؟ فإن قصدتم ذلك فهذا ينزه الرب سبحانه عنه.

---

[٥٤٥] نقله مرعي الكرمي الحنبلي في أقاويل الثقات ١٢١.
[٥٤٦] نقض الدارمي على المريسي ٤٣٤/١.
[٥٤٧] مجموع الفتاوى ٤٩/٣.

وإن أردتم بالتنقل النزول الإلهي الذي ثبت في النصوص على ما يليق بالله ﷻ فإننا نثبت هذا المعنى وليس معنى ذلك أننا نعلم كيفيته كما تقدم تقرير ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله : (أَمَّا الَّذِينَ نَفَوُا الْحَرَكَةَ وَالِانْتِقَالَ، فَإِنْ نَفَوْا مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِ فَقَدْ أَصَابُوا وَلَكِنْ أَخْطَئُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّ ذَلِكَ لَازِمُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، فَأَصَابُوا فِي نَفْيِ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ وَأَخْطَئُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ لَازِمُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَفِي نَفْيِهِمْ لِلَازِمِ الَّذِي يَسْتَحِيلُ اتِّصَافُ الْمَخْلُوقِ بِنَظِيرِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الصِّفَةَ يَلْزَمُهَا لَوَازِمُ لِنَفْسِهَا وَذَاتِهَا، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ هَذِهِ اللَّوَازِمِ عَنْهَا لَا فِي حَقِّ الرَّبِّ وَلَا فِي حَقِّ الْعَبْدِ، وَيَلْزَمُهَا لَوَازِمُ مِنْ جِهَةِ اخْتِصَاصِهَا بِالْعَبْدِ، فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ تِلْكَ اللَّوَازِمِ لِلرَّبِّ، وَيَلْزَمُهَا لَوَازِمُ مِنْ حَيْثُ اخْتِصَاصِهَا بِالرَّبِّ فَلَا يَجُوزُ سَلْبُهَا عَنْهُ وَلَا إِثْبَاتُهَا لِلْعَبْدِ، فَعَلَيْكَ بِمُرَاعَاةِ هَذَا الْأَصْلِ وَالِاعْتِصَامِ بِهِ فِي كُلِّ مَا يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى، وَعَلَى الْعَبْدِ)[٥٤٨].

وقال أيضًا: (فَإِنَّ الِانْتِقَالَ يُرَادُ بِهِ انْتِقَالُ الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ مِنْ مَكَانٍ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يُمْتَنَعُ إِثْبَاتُهُ لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ الْحَرَكَةُ إِذَا أُرِيدَ بِهَا هَذَا الْمَعْنَى امْتَنَعَ إِثْبَاتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى)[٥٤٩].

الشبهة الرابعة: استشهادهم بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف ولا دم مهراق

على أن معنى الاستواء هو الاستيلاء.

والرد عليه من وجوه:

الوجه الأول : أن تفسير الاستواء بالاستيلاء غير معروف في لغة العرب وما ورد فيه إلا هذا البيت العقيم.

---

[٥٤٨] مختصر الصواعق المرسلة ٣٨٨-٣٨٩.
[٥٤٩] المصدر السابق ٣٨٩.

يوضح ذلك أن علماء اللغة لما تكلموا في العرش لم يذكره واحد منهم وقد تقدمت المصادر وليس في أحدها هذا البيت.

بل هذا البيت أنكره أهل اللغة ولم يقبلوه[٥٥٠] وقد تقدم قول ابن الأعرابي.

الوجه الثاني : أن جميع النصوص التي وردت فيها صفة الاستواء[٥٥١] لم يأت منها نصٌ واحد بمعنى الاستيلاء ولو كان معناه الاستيلاء لما اقتصر على لفظ الاستواء.

قال ابن القيم رحمه الله: (أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ قَدِ اطَّرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ حَيْثُ وَرَدَ بِلَفْظِ الِاسْتِوَاءِ دُونَ الِاسْتِيلَاءِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ اسْتَوْلَى لَكَانَ اسْتِعْمَالُهُ فِي أَكْثَرِ مَوْرِدِهِ كَذَلِكَ، فَإِذَا جَاءَ مَوْضِعٌ أَوْ مَوْضِعَانِ بِلَفْظِ اسْتَوَى حُمِلَ عَلَى مَعْنَى اسْتَوْلَى لِأَنَّهُ الْمَأْلُوفُ الْمَعْهُودُ، وَأَمَّا أَنْ يَأْتِيَ إِلَى لَفْظٍ قَدِ اطَّرَدَ اسْتِعْمَالُهُ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، فَيَدَّعِي صَرْفَهُ فِي الْجَمِيعِ إِلَى مَعْنًى لَمْ يَعْهَدِ اسْتِعْمَالَهُ فِيهِ فَفِي غَايَةِ الْفَسَادِ، وَلَمْ يَقْصِدْهُ وَيَفْعَلْهُ مِنْ قَصْدِ الْبَيَانِ، هَذَا لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي السِّيَاقِ مَا يَأْتِي حَمْلُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْنَاهُ الَّذِي اطَّرَدَ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ، فَكَيْفَ وَفِي السِّيَاقِ مَا يَأْبَى ذَلِكَ)[٥٥٢].

الوجه الثالث : أن هذا البيت لا يصح الاحتجاج به إذ لا يعلم قائله ولم يعلم عصر قائله هل هو من العصور التي دخلت فيها على الألسن اللكنة والعجمة أم لا.

حيث أنه لم يذكره أحد من أهل اللغة ولم يذكر في دواوين الشعراء[٥٥٣] المتقدمين وإنما نسبه بعضهم إلى الأخطل ولا بينة على ذلك ولا دليل عليه وبيننا وبينكم ديوان الأخطل المعتبر ومن المحال أن يكون هو قول الأخطل وقد توارد أهل اللغة على إنكاره فعليه بطل احتجاجكم الأخطل.

---

[٥٥٠] ممن أنكره : ابن فارس والخطابي وغيرهما وانظر: نكت القرآن للقصاب ٤٢٧/١ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٠٤/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٢١٣/٣ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٦/٥.

[٥٥١] وهي في القرآن سبع آيات.

[٥٥٢] مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٧٣.

[٥٥٣] بل قالوا بعدم معرفة قائله: قال الخطابي رحمه الله: (لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج بقوله) بيان تلبيس الجهمية ٤٩٣/٤.

وهنا لفتة: وهي تبين تناقضكم واتباعكم الهوى ذلك أنكم تردون أخبار الآحاد في الاعتقاد ولا تقبلون إلا المتواتر ثم تعمدون إلى بيت شعري لا يعلم قائله وتستندون إليه فهذا برهان على تناقضكم.

ثم لو علم قائله فهو خبر آحاد عنه لم يثبت عن الأخطل بالتواتر[٥٥٤] وقاعدتكم لا تقبل الاحتجاج به.

الوجه الرابع : أن هذا تأويل محدث[٥٥٥] لا دليل عليه وارد عن السلف بل الوارد عنهم خلافه أفيترك كلامهم لقول مجهول قائله؟

قال ابن القيم رحمه الله عن تفسير الاستواء بالاستيلاء:

(هَذَا تَفْسِيرٌ لِكَلَامِ اللَّهِ بِالرَّأْيِ الْمُجَرَّدِ الَّذِي لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ صَاحِبٌ وَلَا تَابِعٌ، وَلَا قَالَهُ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ الَّذِينَ يَحْكُونَ أَقْوَالَ السَّلَفِ)[٥٥٦].

الوجه الخامس : على فرض ثبوته ودلالته على الاستيلاء فلا يقدم هذا على أقوال السلف المتواترة عنهم من الصحابة والتابعين إذ هم أهل الشريعة فهم أعلم بدلالة النص من هذا الشاعر المجهول الذي يذكرون أنه الأخطل النصراني.

كيف ولم يرِد عن واحدٍ منهم تفسيره بالاستيلاء.

قال ابن القيم رحمه الله:

(إِحْدَاثَ الْقَوْلِ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ عَلَى خِلَافِهِ يَسْتَلْزِمُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَطَأً فِي نَفْسِهِ، أَوْ تَكُونَ أَقْوَالُ السَّلَفِ الْمُخَالِفَةِ لَهُ خَطَأً، وَلَا يَشُكُّ عَاقِلٌ أَنَّهُ أَوْلَى بِالْغَلَطِ وَالْخَطَأِ مِنْ قَوْلِ السَّلَفِ)[٥٥٧].

---

[٥٥٤] هذا على سبيل التنزل بأن الأخطل قاله.
[٥٥٥] مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٤/٥.
[٥٥٦] مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٧٣.

الوجه السادس : على فرض صحة البيت[٥٥٨] نقول:

قد يدل على الاستيلاء لوجود قرينة تصرفه عن ظاهره وهذا بخلاف آيات صفة الاستواء فليس بها قرينة تصرفها عن تفسيرها بالعلو والارتفاع والصعود والاستقرار ولا يصرف عن هذا المعنى المعروف في اللغة العربية وعن السلف إلا بقرينة ولا قرينة بل القرينة دالة على وجوب تفسيره بالعلو لأنه هو هدي السلف[٥٥٩].

الوجه السابع : أنه يمكن أن نفسر الاستواء في البيت بمعنى العلو فيكون المعنى:

علا بشر على العراق.

والعلو هذا علو معنوي ليس حسي ومنه قوله تعالى: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ).

فالعلو في الآية دل على أن المسلمين فوق الكفار معنويًا ليس حسيًا[٥٦٠].

الوجه الثامن : أنه قد يقال بأن الاستواء في البيت بمعنى العلو فإن من آل إليه أمر البلد فقد استوى على سرير الملك فيكون معنى استوى بشر على العراق أي : استوى على سرير الملك.

قال ابن القيم رحمه الله:

(أَنَّهُ لَوْ صَحَّ هَذَا الْبَيْتُ وَصَحَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُحَرَّفٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ بَلْ هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الِاسْتِوَاءِ، فَإِنَّ بِشْرًا هَذَا كَانَ أَخَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ،

---

[٥٥٧] المصدر السابق.
[٥٥٨] من باب التنزل.
[٥٥٩] أفاده العلامة ابن عثيمين رحمه الله.
[٥٦٠] أفاده العلامة ابن عثيمين رحمه الله.

فَاسْتَوَى عَلَى سَرِيرِهَا كَمَا هِيَ عَادَةُ الْمُلُوكِ وَنُوَّابِهَا أَنْ يَجْلِسُوا فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُسْتَوِينَ عَلَيْهِ)[٥٦١].

الوجه التاسع : مما يدل على بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء:

أن بشر هو بشر بن مروان أخو الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان[٥٦٢] وبشر لا يصدق عليه أنه استولى على العراق لأنه قد كان واليًا لأخيه ونائبًا عنه ولم ينازع أخاه الملك ولم يغالبه فالمستولي على العراق عبدالملك لا بشر.

قال ابن القيم رحمه الله:

(لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ اسْتِيلَاءَ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ لَكَانَ الْمُسْتَوِي عَلَى الْعِرَاقِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، لَا أَخُوهُ بِشْرٌ، فَإِنَّ بَشَرًا لَمْ يَكُنْ يُنَازِعُ أَخَاهُ الْمُلْكَ وَلَمْ يَكُنْ مَلِكًا مِثْلَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ نَائِبًا لَهُ عَلَيْهَا وَوَالِيًا مِنْ جِهَتِهِ، فَالْمُسْتَوْلِي عَلَيْهَا هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَا بِشْرٌ، بِخِلَافِ الِاسْتِوَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهُوَ الِاسْتِقْرَارُ فِيهَا وَالْجُلُوسُ عَلَى سَرِيرِهَا، فَإِنَّ نُوَّابَ الْمُلُوكِ تَفْعَلُ هَذَا بِإِذْنِ الْمُلُوكِ)[٥٦٣].

الوجه العاشر: أنه لو سُلّم – تنزلًا – أن الاستواء في البيت بمعنى : الاستيلاء وأن هذا البيت صحيح ثابت يجوز الاحتجاج به :

لو صح هذا لكان في حق البشر ولما صح إطلاقه بهذا المعنى على الله لما يترتب عليه من لوازم يجب تنزيه الله عنها منها:

- ألا يكون الله مالكًا للعرش قبل ثم ملكه فيما بعد واستولى عليه إذ أننا نعلم أن العرش – كما تقدم – قد كان موجودًا قبل خلق السماوات والأرض بأكثر من خمسين ألف

[٥٦١] مختصر الصواعق المرسلة ٣٧٩.
[٥٦٢] البداية والنهاية لابن كثير ٧/٩.
[٥٦٣] مختصر الصواعق المرسلة ٣٨٠.

سنة ثم خلق الله تعالى السماوات والأرض ثم استوى على العرش ودليل هذا قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) فلازم التفسير بالاستيلاء ألا يكون قادرًا ومستوليًا على العرش ولا مالكًا له حتى خلق السماوات والأرض وفي هذا أعظم القدح في الله وفي عموم ملكه وقدرته[٥٦٤].

- كما يلزم من هذا التفسير أن يكون لله مضاد ومغالب ، فغالبه الله واستولى عليه ، تعالى الله وتقدس.

وهذا قرره ابن الأعرابي كما تقدم إذ قال: (العرب لا تقول للرجل : (استولى على الشيء) حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل: استولى عليه والله لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر والاستيلاء بعد المغالبة ، قال النابغة:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه *** سبق الجواد إذا استولى على الأمد).

~ ما تقدم هو مختصر وجيز في الرد على الشبه التي أوردها الإباضي ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتب العقائد السلفية والردود على المخالفين وخصوصًا كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٥٦٤] نكت القرآن للقصاب ٤٢٨/١ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٥/٥.

الفهرس

المقدمة الأول: المرجع عند الاختلاف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ..... ٥

المقدمة الثانية : اعتماد فهم السلف الصالح للنصوص واجب وهو ضمانة لسلامة فهم النصوص وفق مراد الله ورسوله ﷺ..... ٧

المقدمة الثالثة : عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات إجمالًا..... ١٠

المقدمة الرابعة : تعظيم الله بما شرع الله:..... ١٩

المقدمة الخامسة : (استدل ثم اعتقد)..... ٢١

المسائل المنتقدة على صاحب الرسالة..... ٢٥

المسألة الأولى: هل النصوص الشرعية (نصوص الصفات) تقتضي التشبيه والتمثيل؟! ... ٢٥

المسألة الثانية: هل آيات الصفات من متشابه القرآن الكريم؟..... ٦٠

المسألة الثالثة: هل آيات الصفات على ظاهرها؟..... ٨٤

المسألة الرابعة: هل نحن نشبه الله بخلقه؟..... ٩٢

المسألة الخامسة:هل نحن نعتمد على الاسرائيليات في الاعتقاد؟..... ٩٣

المسألة السادسة:صفة العين واليد والرجل والقدم والساق..... ٩٤

المسألة السابعة: صفات مجملة جعلها لوازم لمن أثبت صفة العلو لله..... ٩٩

المسألة الثامنة:أخبار الآحاد وحجيتها في الاعتقاد..... ١٠٨

المسألة التاسعة:عقيدة نبي الله إبراهيم عليه السلام ١٣٠

المسألة العاشرة: حديث: (تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق) واستدلالاتهم به ١٣٢

المسألة الحادي عشر:السؤال عن الله بكيف ومتى ولم وأي..... ١٣٨

المسألة الثانية عشر:صفة العلو..... ١٤٠

المسألة الثالثة عشر:حديث الجارية..... ١٧١

المسألة الرابعة عشر:صفة الاستواء..... ١٧٦